

الباب الأول

مفهوم حركة «العصر الجديد»، ونشأتها، ومصادرها

وفيه فصلان:

الفصل الأول: مفهوم حركة «العصر الجديد» ونشأتها.

الفصل الثاني: أبرز مصادر الأفكار والعقائد الباطنية التي تتبناها
حركة «العصر الجديد»، والفلسفات الممهدة لظهورها.

الفصل الأول

مفهوم حركة «العصر الجديد» ونشأتها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بحركة «العصر الجديد».

المبحث الثاني: نشأة حركة «العصر الجديد» وأبرز شخصياتها.

المبحث الأول

التعريف بحركة «العصر الجديد»

تسمّى كثير من الحركات المعاصرة بأسماء محببة براقة، تُعطي انطباعاً أولياً زاخراً بالمعاني الإيجابية. ولا شك أن إطلاق «العصر الجديد» هو من تلك الأسماء التي توحى بالتغيير، وتبعث على النظرة التفاؤلية، لا سيما وقد اقترن عصرنا الحالي - عند كثير من الناس - بالمادية، والاستبداد، والفقر، وانتشار الأمراض العضوية والنفسية، مما جعل التطلع إلى عصرٍ جديد - تأتى معه حلول لمشاكل العصر الذي قبله - أمراً ليس مستغرباً.

إن وصف «العصر» بالجدة هو وصف شائع الاستخدام، يورده كثير من الكُتّاب في مجالات متنوعة، وقد يراد بهذا الوصف معنيان:

١ - المعنى اللغوي: وهو الذي يفيد الحداثة النسبية للزمان دون ربطه بمفهوم - أو حتى زمن - معين. كأن يقال: التقنية والتعليم في العصر الجديد، فيراد به الأزمنة الحديثة بالنسبة لزمان الكاتب أو المتحدث. وهذا المعنى العام ليس هو المقصود في هذا البحث، ولا يمكن ضبطه تحديداً، كما أنه لا يُقيّد بتخصص دون غيره حيث يمكن استخدام وصف «العصر الجديد» بالمعنى اللغوي في أي سياق.

٢ - المعنى الاصطلاحي: وهذا المعنى رغم ارتباطه بالظاهر بالمعنى اللغوي إلا أن له مفهوماً أكثر تحديداً، فقد نشأ في فترة محددة، وأُطلق على زمن محدد، وارتبطت به حركة فكرية محددة.

تنوّعت إسهامات الباحثين في الحركات الفكرية المعاصرة حول تقديم تعريف دقيق لحركة «العصر الجديد»، حيث يجد المتفحص لكتاباتهم اختلافاً واسعاً في ذلك التحديد، ويشير كثير منهم إلى أن وضع تعريف شمولي دقيق للحركة ليس بالأمر اليسير - إن لم يكن قريباً من المستحيل - . ولعل صعوبة تقديم تعريف موحد للحركة، والاختلاف الظاهر في تحديد مفهوم لها يرجع إلى ثلاثة أسباب رئيسة:

١ - أن حركة «العصر الجديد» ليست منظمة ذات قيادة مركزية، ولا عقائد رسمية أو طقوس موحدة. فلا يمكن الرجوع إلى مصادر معتمدة تُفهم من خلالها ماهية الحركة، وإنما يستفاد ذلك من الاستقراء.

٢ - أنها حركة شمولية تتناول عدداً كبيراً من جوانب الحياة البشرية، ولذلك يختلف تعريف الحركة باختلاف الجانب الذي يبرزه كل باحث.

٣ - أن حركة «العصر الجديد» من الحركات الباطنية الحديثة التي تعتمد على السرية في كثير من تطبيقاتها، فلا تعرض العقائد والمبادئ بشكل ظاهر لكل مريد، وإنما تتاح «العلوم» بشكل تدريجي متأن. فتجد مَنْ ينظر إلى الحركة نظرة سطحية، ويُعرفها بناء على ذلك، ومن ينظر إليها نظرة فاحصة مدركة للأصول والمآلات ويعرفها بناء على ذلك.

ولذلك فإن الاختلاف في تحديد مفهوم حركة «العصر الجديد» وتعريفها لا يمكن أن يُنظر إليه على أنه تناقض وتضاد، بل هو من باب التنوع، أو تعريف الشيء ببعض أجزائه أحياناً. وعند التأمل نجد - تحت كل ذلك التنوع - عوامل مشتركة تتكرر في الكتابات المخالفة والموافقة للحركة على حد سواء، وفي تطبيقاتها وممارساتها المختلفة في أنحاء متفرقة من المعمورة. وعند مقارنة ما يُقدم في هذا المجال نجد أن ما يُعرض حول نظرة أتباع الحركة للعالم وللكون وللمشاكل التي يبرزونها وما يقدمونه لها من حلول تكاد تكون محل اتفاق^(١).

(١) انظر: The New Age Movement and Biblical Worldview: ix-John P. Newport. The Cosmic Self-Te Peters: (4-5).

يطلق على حركة «العصر الجديد» عدد من الأسماء الأقل شهرة، منها: روحانية العصر الجديد (New Age Spirituality)، والإنسانية الكونية (Cosmic Humanism)، وتسمى أحياناً: «عصر الدلو» (Age of Aquarius)^(١) نسبة إلى البرج النجمي المعروف. ولكن حركة «العصر الجديد» (New Age Movement) هو المصطلح الأكثر انتشاراً، وهو الذي يمكن من خلال تفكيك مفرداته لتقريب مفهوم الحركة، على النحو التالي:

«حركة»:

تتكون «الحركة» - على وجه العموم - من مجموعة من الناس الذين يحملون فكراً مشتركاً ويسعون إلى تحقيق أهداف عامة. غير أن وصف حركة «العصر الجديد» بـ«الحركة» لا يعني أنها مجموعة منظمة بالضرورة، أو أنها تتبع قيادة موحدة وفق مخططات دقيقة. بل إن حركة «العصر الجديد» مجرد مصطلح مظهري، لن تجد لها مقراً رئيساً يمكن الاتصال به، أو موظفين رسميين يعملون على نشر مبادئها والترويج لها^(٢)، وإن كانت تضم العديد من التجمعات الفرعية ذات التنظيم الدقيق، والسيادات المركزية، لكنها لا تحمل اسم الحركة مباشرة^(٣).

فحركة «العصر الجديد» ليست منظمة، بل هي حركة تضم العديد من المنظمات قد تصل أعدادها إلى الآلاف، وقد يبدو في ظاهرها التنوع وعدم الارتباط، إذ إن كلاً منها تُعنى بجانب معين ليس بينه وبين المجالات الأخرى تعلق ظاهر. فبعضها تعنى بالصحة، وبعضها بالعلوم التجريبية، وبعضها بالسياسة، وأخرى بتطوير الذات، وغيرها كثير^(٤).

ولذلك لا بد من فهم المصطلح على أنه يُعبّر عن شبكة ذات هيكله رخوة -

(١) The New Age Movement-Paul Young: 11.

(٢) انظر: The New Age Movement-Paul Heelas: 16-and Catholics and the New Age-Mitch Pakwa: 13, and The New Age Movement and Biblical Worldview: ix-Newport. And The Cosmic Self-Peters: (4-5).

(٣) انظر: The New Age Movement-Paul Heelas: 16.

(٤) انظر: The New Age Movement-Paul Young: 13.

بل شبكة من الشبكات -، ومجموعة ضخمة من المنظمات تربطها ببعضها البعض فرضيات مشتركة ونظرة وأهداف شبه موحدة^(١).

تصف مارلين فيرجسن^(٢) (Marilyn Ferguson) - إحدى المنظرين الأوائل للحركة - حركة «العصر الجديد» بأنها «شبكة بلا قائد، ولكنها ذات نفوذ»^(٣) فتأثيرها راجع إلى المؤسسات الفرعية التي - وإن كانت لا تتبع قيادة مركزية - تسعى لتحقيق أهداف مشتركة، ونقل العالم إلى مراحل عليا من «الوعي الكوني».

هل تعتبر حركة «العصر الجديد» ديناً جديداً؟

لقد وصف بعض الباحثين حركة «العصر الجديد» بأنها دين جديد يغزو ويقتحم العالم الغربي^(٤)، وسعوا جاهدين في التحذير من تضليلها، بعد أن تسللت أفكار الحركة داخل أسوار الكنيسة، وأصبحت تتخطف أتباعها. وحيث إن أكثر أصحاب هذا الرأي هم من قساوسة النصارى وعلمائهم، فإنهم - في الغالب - ينطلقون من حماسة دينية دون تحقيق دقيق، وينظرون إلى الحركة من ذلك الجانب فحسب.

والذي يظهر أن حركة «العصر الجديد» - رغم أنها تُروّج لعدد من العقائد الدينية - لا يمكن أن تصنف على أنها ديانة مستقلة للأسباب التالي ذكرها:

١ - يشتمل الدين - في الاصطلاح العام - على نوع من العقائد والعبادات بالإضافة إلى نظام محدد يحتكم إليه الأتباع، وينظم منهجهم في الحياة^(٥). أما حركة «العصر الجديد» فهي - وإن كانت - تدعو إلى نظرة موحدة للكون والوجود، وتطرح حلولاً متشابهة للمشاكل التي تواجه البشرية، إلا أنها لا تؤمن بطريق واحد للنجاة، ولا تقدم منهجاً محدداً للحياة يتبين من خلاله المحرم من المباح. كما أن من أبرز معالم الحركة دعوتها إلى وحدة الأديان^(٦)، أو

(١) انظر: The New Age Movement and Biblical Worldview-John P. Newport: (1-2), and Catholics and the New Age-Mitch Pakwa: 13.

(٢) يأتي تعريف مفصل لها في المبحث التالي بإذن الله.

(٣) The Aquarian Conspiracy-Marilyn Ferguson: 33.

(٤) An Overview Of The New Age Movement-William Reck: v.

(٥) The Columbie Encyclopedia 6th Edition: 40909.

(٦) وحدة الأديان: هو الاعتقاد بصحة جميع المعتقدات الدينية، وصواب جميع العبادات،

توحيدها^(١)، وتشجيع التيارات الباطنية داخل الديانات القائمة دون العمل على صرف أحد عن انتمائه الديني الأصيل.

٢ - أنه لا بد وأن يكون للدين مؤسس، أو قائد ومرجعية يتفق عليها الأتباع، بينما نجد في حركة «العصر الجديد» خليطاً من المرجعيات المختلفة - بل والمتناقضة في كثير من الأحيان -.

٣ - أن الديانات - في الغالب - تتضمن نوعاً من الطقوس والعبادات التي يُقصد بها التقرب إلى كائن مقدس، وهذا لا يُتصور إلا بتباين العابد والمعبود، وهو معنى مفقود في العقائد الباطنية التي تتبناها الحركة.

وعليه؛ فإن حركة «العصر الجديد» لا يمكن أن تصنف على أنها «دين» بالمعنى الاصطلاحي للكلمة، حيث تفتقر إلى المقومات الأساسية التي يقوم عليها؛ فليس لها نصوص مقدسة، ولا قيادة مركزية، ولا منظومة رسمية - بل ولا عقيدة موحدة -^(٢)، وتعتبر الاستقلالية الفردية في تحديد المسار الروحاني، وتشكيل الواقع والمصير من أبرز سمات حركة «العصر الجديد». ولذلك فإن هذه الحركة - وإن وصفت بأنها دين تجوّزا - لا يمكن أن تعتبر ديناً حال التقيّد بالاصطلاح. ولذلك لا ينبغي الخلط بين المفهوم العام لحركة «العصر الجديد»

= وأنها طرق إلى غاية واحدة. دعوة التقريب بين الأديان: أحمد القاضي ٣٣٩/١.

(١) توحيد الأديان: دمج جملة من الأديان والملل في دين واحد مستمد منها جميعاً، بحيث ينخلع أتباع تلك الأديان منها، وينخرطون في الدين الملتق الجديد.

دعوة التقريب بين الأديان: أحمد القاضي ٣٤٣/١.

(٢) المقصود بـ«ليس لهم عقيدة موحدة» هو مرونة الحركة في تقبل الاعتقادات المتنوعة، فلا يضير الإنسان أن يعتقد بنبوة محمد ﷺ إن كان يفسرها وفق مبادئ الحركة، ولا فرق بينه وبين الذي يؤمن بعيسى، أو بموسى، أو بوذا وكرشنا. ورغم أن حركة «العصر الجديد» لها بعض الخصائص التي تميزها عن غيرها، خاصة في ما له تعلق بنظرتها للوجود ووحدته، وعقيدتها في الإله وإطلاقه، ونظرتها للإنسان وتعظيمه، ثم أسلوبها التلفيقي في الانتقاء من الأديان المختلفة، إلا أننا نجد عند تدقيق النظر أن عرض أفرادها لهذه العقائد العامة ليس موحداً. فمنهم من يدعي التدين ومنهم من يعلن إلحاده، ومنهم من يتبنى العقائد الشرقية، ومنهم من يقول إنه مسلم... وهكذا. فعندما نقول إن حركة «العصر الجديد» تحمل نظرة موحدة نقصد بها تلك العقائد الباطنية العامة، وعندما ننفي تبنيها لعقيدة موحدة فإننا نقصد به ما سبق.

وبين الديانات الوثنية الحديثة (neo-paganism)، وإن كانت الأخيرة قد تندرج تحت مسمى الحركة العام، حيث تتميز بعض الديانات الوثنية الحديثة بوجود قادة معروفين وعقائد وطقوس محددة^(١).

ومما يحسن التأكيد عليه أن إخراج حركة «العصر الجديد» من مسمى الدين لا يقلل من خطورة هذه الحركة ومدى تهديدها للمعتقدات الدينية عموماً والعقيدة الإسلامية على وجه الخصوص، وإنما المقصود تحرير المصطلحات وتوضيحها.

لقد أسهب بعض الكتاب الغربيين في الحديث عن حقيقة حركة «العصر الجديد» من حيث القيادة والتنظيم، فذهب عدد منهم إلى أن الحركة تخضع لتخطيط تآمري دقيق، وأن لها أهدافاً توسعية تسعى من خلال تحقيقها إلى السيطرة على العالم بأسره. وقد كانت كونستانس كومبي (Constance Cumbe) ^(٢) رائدة هذا الاتجاه وأول من ألفت فيه، حيث تحدثت في كتابها: «الأخطار المخفية لألوان الطيف» (The Hidden Dangers of the Rainbow) عن مؤامرة تحاك ضد الديانة النصرانية منذ قرون، وتمهد لخروج «المسيح الدجال» الذي يسمونه الـ (Antichrist)، وانسياق الناس خلفه^(٣).

وقد كان أكثر آراء كومبي إثارة للجدل في كتابها الشهير: أن حركة «العصر الجديد» - بأكملها - تسير وفق تنظيم دقيق، تم التخطيط له عبر عدة عقود تحت قيادة أليس بيلي (Alice Bailey) ^(٤) وهي إحدى أفراد اتجاه الإيزوتيرك (Esoteric) ^(٥) في المجتمع الشيوصوفي^(٦). إلا أن هذه الفرضية قوبلت بتشكك

(١) انظر: The New Age Movement and Biblical Wordview-John P. Newport: xi.

(٢) كونستانس كومبي: هي محامية أميركية، وكاتبة نصرانية ولدت في عام ١٩٤٤م. توقفت مدة عن ممارسة مهنتها لتتفرغ للتصدي لحركة «العصر الجديد». ألفت عدداً من المؤلفات التي تهاجم فيها الحركة. عادت مؤخراً لمزاولة المحاماة ولا زالت مستمرة في الكتابة والإلقاء.

تصفح: المدونة الخاصة لكومبي: www.cumbe.blogspot.com.

(٣) انظر: The Hidden Dangers of the Rainbow: Constance Cumbe.

(٤) يأتي التعريف بها.

(٥) الإيزوتيرك: تعني العلوم الباطنية التي لا يحصلها إلا فئات خاصة. انظر: Modern Esoteric Spirituality-edited by: Antoine Faivre and Jacob Needleman: xxi.

(٦) هي جماعة باطنية أسستها مدام بلافاتسكي الروسية في الولايات المتحدة، ويأتي التعريف بها في ص ٥٠.

عريض في الأوساط النصرانية التي وجهت إليها كوميبي تحذيراتها^(١)، حيث اعتُبرت الحركة حركة فكرية تتضمن توجهات متشابهة دون تنظيم مخطط، أو قيادة مركزية، وإن كان ذلك لم يؤثر على رفض الكنيسة لها.

إن اعتبار حركة «العصر الجديد» منظمة تأمرية بالمعنى الذي أرادته كونستانس كوميبي أمرٌ يعزُّ إثباته - بل الشواهد تدل على خلافه -، ولذلك كان الأظهر أن الحركة هي على الوصف الذي ذكره أكثر الباحثين لا كما رسمتها كوميبي وأمثالها من المتحمسين، مع احتمال وجود فروع منظمة للحركة تعمل وفق خطط وأهداف محددة.

وعلى أية حال، فإن حركة «العصر الجديد» - على كلا القولين - تشكل خطراً كبيراً على المعتقدات الدينية، ومجرد ترويجها لمبادئها الباطنية في أوساط المسلمين يعد سبباً كافياً لفضح أساليبها والتحذير منها سواء كان خلف تلك الحركة مؤامرة مُدبرة أم لم يكن.

«العصر»:

يزعم المُنجِّمون أن الزمن ينقسم إلى عصورٍ فلكية، كل عصرٍ يمتد إلى ما يقارب ألفي سنة شمسية، يزيد أو ينقص شيئاً يسيراً وفق حسابات خاصة، والعالم اليوم - حسب تقويمهم النجمي - هو في طور انتقالي بين عصرين متتاليين، أو أنه قد انتقل - بالفعل - إلى عصر جديد، على خلاف بينهم في ذلك، وقد حدده بعضهم بعام ٢٠١٢م، وهي سنة كثر الجدل حولها وما يتوقع فيها من الأحداث. كما ينسبون كل عصر إلى برج من الأبراج الفلكية المعروفة بحسب البرج الذي تقع الأرض تحت تأثيره في تلك الحقبة الزمنية، ولما كان البرج السماوي السائد في الألفيتين الأولى والثانية هو برج الحوت، سمي ذلك

(١) انظر: A Crash Course on the New Age Movement-Elliot Miller: (193-206).

وهذا الكتاب يحتوي على مبحث هو من أفضل ما كتب في الرد على نظرية كوميبي، ومؤلفه هو من أتباع حركة «العصر الجديد» الذين تخلوا عن فكر الحركة، وعادوا إلى الكنيسة.

وانظر كذلك: Bearing False Witness-Douglas E. Cowan: (40-41) and Perspectives on the New Age-Irving Hexam: (154-155).

العصر بـ«عصر الحوت» (Age of Pisces)، ومع دخول الألفية الثالثة انتقلت السيادة - بزعمهم - إلى برج الدلو، فسمي هذا «العصر الجديد» بـ«عصر الدلو» أو (Age of Aquarius)، وهو من الأسماء التي كثيراً ما تطلق على حركة «العصر الجديد».

إن هذه التقسيمات الفلكية تحمل إشارات رمزية تقوم عليها الفكرة العامة للحركة، فالحوت - أو السمكة - هو رمز للنصرانية^(١)، لذلك فإن سيادة برج الحوت في السماء متلازم مع سيادة الديانة النصرانية في الأرض خلال الألفي عام الماضية، أما الدلو فهو حامل الماء، ويرمز إلى استقلالية الإنسان ومقدرته على حَمْلِ جِملِهِ بنفسه^(٢). ولذلك يستبشر أتباع حركة «العصر الجديد» بالعصر الجديد (New Age) الذي يطل على البشرية، وإليه يُنسَبون.

يوصف عصر الدلو أو «العصر الجديد» بأنه عصر أخوة ومحبة عامة تتلاشى فيه الفوارق الجنسية، والعرقية، والدينية؛ عصر تتغير فيه حالة «الوعي»^(٣) لعموم البشر، وتسود فيه الفلسفات الإنسانية^(٤) والروحانيات الحديثة^(٥).

(١) وقد قال بعضهم إن الأسماك تنتقل في جماعات بحركات وسلوكيات متشابهة، وهكذا هو حال الناس في الديانات المنظمة، أما في العصر الجديد فإن الإنسان يعيش استقلالية روحانية غير مقيدة.

(٢) المقصود استقلاليته الروحانية من السلطة الدينية وقيودها، ومقدرته على صنع واقعه وتحويره بنفسه.

(٣) الوعي (Consciousness): يستخدم هذا اللفظ في السياق الفلسفي ويراد به مراحل الإدراك، فأدناها الوعي بالذات المنفصلة عن الكون، وأعلىها إدراك حقيقة الذات وما يرونها الوحدة بين كل موجود.

(٤) الفلسفة الإنسانية (Humanism): تشير إلى الحركة الفكرية التي سادت في عصر النهضة الأوروبية، تدعو إلى الاعتداد بالفكر الإنساني، ومقاومة الجمود والتقليد، وترمي بوجه خاص إلى التخلص من سلطة الكنيسة.

انظر: المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية ١٧٤/١، وموسوعة لالاند الفلسفية ص ٥٦٧.

(٥) انظر: Anotehr Gospel-Ruth A. Tucker: (319-320), and The New Age Movement-Paul Young: (11-13), and The New Age Movement-Douglas R. Groothus: (6-7), and Catholics and the New Age Mitch Pakwa: (16-17), and The A to Z of New Age Movements-Michael Yourk: (133-134).

«الجديد»:

إن وصف «عصر الدلو» بـ«العصر الجديد» يوحي بمعان إيجابية جذابة، فكثيراً ما ترتبط الجِدَّة بالتقدم والتحسين، كما قد يفهم منه أن هذا العصر يحمل مفاهيم جديدة، ومبادئ خاصة بالزمن الحديث، إلا أن أتباع حركة «العصر الجديد» وروادها يتفقون مع نُقاد الحركة بأنها لم تأت - في الواقع - بشيء «جديد» ليس له سابق، وأن مصطلح «العصر الجديد» مصطلح مظلي يشمل مجموعة متنوعة من الأفكار، والمفاهيم، جلها مُستقاة من ديانات وفلسفات شرقية وغربية سابقة لها، وإن كانت بعض تلك المبادئ والأفكار قد تعتبر جديدة بالنسبة للمجتمعات الغربية^(١).

ولذلك عرّف بعض الباحثين حركة «العصر الجديد» بأنها: «منظومة تتكون من الاعتقاد بتأليه الذات، وبالحقائق النابعة من الذات، وبالقُدْر الذي تُنتجه الذات، تعمل على دمج الباطنية الغربية، والهندوسية، والبوذية، والنصرانية في الجوانب الروحانية، والسياسية، والاجتماعية والاقتصادية للمجتمع»^(٢). فالانطباع الأول عن الحركة هو أنها عبارة عن خليط من الاعتقادات الانتقائية والتطبيقات المتنوعة، ممتزجة بأفكار باطنية، وطقوس وثنية مستعارة من ديانات مختلفة^(٣). إذن ما هو «الجديد» في هذه الحركة؟

ترى حركة «العصر الجديد» أن أهل الأرض اليوم في أزمة، وأنهم يلجؤون إلى أحد طريقتين تقليديتين لحلها: إما بالطرق المادية الخاضعة للعلوم التجريبية، أو بالاستعانة بالمعتقدات والممارسات الدينية. وقد جاءت الحركة لتطرح طريقاً ثالثاً، وحلاً جديداً لتجاوز الأزمة الإنسانية الراهنة، وهو الخلط بينهما بطريقتيها الخاصة^(٤)، مما أنتج مزيجاً نشازاً من الفلسفات الروحانية الباطنية، والعلم التجريبي الحديث، أكثر خبثاً، وأشدّ تلبساً.

وبالجملة، فإن حركة «العصر الجديد» هي شبكة ضخمة جدّاً من الشبكات

(١) انظر: The New Age Movement-Paul Heelas: 16.

(٢) انظر: An Overview Of The New Age Movement-William Reck: 2.

(٣) انظر: The New Age Movement and Biblical Worldview-John P. Newport: ix, and The

New Age Movement-Paul Heelas: 16.

(٤) انظر: The New Age Movement and Biblical Worldview-John P. Newport: 2.

المكونة من الأفراد والجماعات الذين يحملون قيماً ورؤى مشتركة، تقوم تلك القيم على الفلسفات الباطنية الشرقية، وعقيدة وحدة الوجود، بينما تتلخص الرؤية في التطلع لعصر جديد من السلام والاستنارة، وهو «عصر الدلو»^(١).

الانتساب إلى حركة «العصر الجديد»:

لقد نال حركة «العصر الجديد» شيء من الدعاية الإعلامية السلبية في الثمانينات والتسعينيات، ربطتها بالخرافة والغموض والبعد عن المصادقية العلمية، بالإضافة إلى الترويج لاستخدام المخدرات، وأعشاب الهلوسة. ولذلك نجد عدداً ممن يتبنون فكر الحركة يتصلون من الانتساب الصريح إليها، وهو اعتراض لا يعني بالضرورة أن هؤلاء المفكرين أو المؤلفين أو المعالجين ينكرون تبنينهم لفكر «الحركة» وأهدافها، وإنما الاعتراض هو على النسبة والتسمية بالـ«نيو أيج»، أو لأنهم يعتقدون أن هذا المصطلح يطلق على صورة مشوهة من الروحانيات التي يمارسونها. وعلى أية حال، فإن ذلك لا يمنع من تصنيفهم داخل هذا المفهوم^(٢).

(١) (بتصرف يسير) A Crach Course on the New Age Movement-Elliot Miller: 183.

(٢) انظر: The New Age Movement and Biblical Worldview: xi-John P. Newport, and New Age A Guide-Daren Kemp: 132.

المبحث الثاني

نشأة حركة «العصر الجديد» وأبرز شخصياتها

تَقَرَّرَ في المبحث الأول أن حركة «العصر الجديد» ليست ظاهرة جديدة كما قد يبدو عند أول وهلة، وأن جلّ أفكارها وتطبيقاتها مُستعارة من ديانات وفلسفات أخرى، بل إن حركة «العصر الجديد» قد تعتبر تجديدًا لبعض الحركات التي ظهرت في القرن التاسع عشر مع اختلافات يسيرة في الأسماء والشعارات. وحيث إن التسمية ليس لها اعتبار يُذكر، فقد يستمر فكر الحركة في الظهور مستقبلاً تحت اسم أو وصف مختلف، مع الاتفاق المجمل في المضمون. ولذلك فإن الحديث عن نشأة حركة «العصر الجديد» لا يمكن أن يُختزل في الوقت الذي تحدت فيه ملامح الحركة، بل يتجاوزه إلى ما قبل ذلك بقرن من الزمان تقريباً.

يمكن للباحث تتبع جذور حركة «العصر الجديد» إلى بعض الحركات الدينية والفلسفية التي ظهرت في القرن التاسع عشر للميلاد، والتي كانت تتبنى ما يسمى بـ«الاعتقادات البديلة»^(١). لم تكن تلك الاعتقادات متمثلة في ديانة

(١) تطلق «الاعتقادات البديلة» ويراد بها المعتقدات الروحانية التي لا تنتمي إلى منظومة

مُوَحَّدة، كما لم يكن لها نصوص مقدسة ولا قيادة مركزية، فقد كانت شبكة رَخوة من الاعتقادات المتداخلة سماها بعض الباحثين «ثقافة الظل» (Shadow Tradition)، وهي تُشبه إلى حد كبير ما عليه واقع حركة «العصر الجديد» في زمننا الحاضر. ثم مع حلول منتصف القرن التاسع عشر ازدادت شهرة تلك الأفكار والتطبيقات، وعند تأمل الصورة المعقدة لتلك الثقافة بشخصياتها ومبادئها وتطبيقاتها يتأكد الباحث أن حركة «العصر الجديد» ليست وليدة هذا القرن^(١)، وإن كانت نشأتها الفعلية تكمن في «الثقافات الفرعية» لستينيات القرن العشرين.

ظهرت بوادر الفكر الباطني الغربي الحديث - أو البذرة الأولى لحركة «العصر الجديد» - مع نزوح الجاليات الأوروبية المهاجرة إلى الأرض الجديدة في أميركا، حيث قدموا ببعض العقائد الخرافية، والمعتقدات الاستشرارية^(٢) من بلدانهم في أوروبا^(٣)، بالإضافة إلى ممارسات السحر والكهانة، إلا أن تلك المعتقدات لم يُكتب لها التوسع والانتشار بسبب الضغط الذي واجهته من أتباع الكنيسة، فقد كان يُراد للأرض الجديدة أن تقوم على الديانة النصرانية، لا على خليط من الفلسفات الغربية. وقد احتد العداء بين الكنيسة وتلك المعتقدات الدخيلة حتى إنه تمت محاكمة عدد من السواحر في عام ١٦٩٢م، وحكم عليهن بالقتل حرقاً بالنار.

ثم إن ذلك الفكر استمر بالتراجع والانحسار - خاصة في أوساط المثقفين والمتعلمين - مع سيادة العقلانية العملية والالتفات إلى العلوم التجريبية، ولكنها

= الديانات الكتابية، وهي - في الغالب - تحمل الطابع الباطني، ولا تفرض على أتباعها ضوابط سلوكية، أو حتى عقدية يلزم التقيد بها. وهذا الوصف قد أسهم في نشر تلك المعتقدات؛ حيث جمعت بين الجانب الروحاني الذي يفتقده كثير من الغربيين، وبين حرية السلوك التي لا تتأني - عادة - مع الدين التقليدي.

(١) المقصود هنا حركة «العصر الجديد» كحركة حديثة لها صفة مخصوصة، وليس المراد جذورها العقدية التي ترجع إلى الهندوسية، والديانات الوثنية القديمة، وغيرها مما سبق ظهور الحركة بآلاف السنين.

(٢) الاستشرارية (Esoteric / Occult) هي الإيزوتيرك، وقد سبق التعريف بها ص ٣٧.

(٣) علماً بأن الإنجليز كانوا قد تأثروا بالديانات الشرقية - الهندوسية والبوذية على وجه الخصوص - نظراً لأثر التبادل الثقافي الذي حصل أثناء الاحتلال البريطاني للهند، وكنتيجة لهجرة أعداد كبيرة من الهنود إلى بريطانيا من بعد.

لم تزل منتشرة بين الفقراء وذوي المستويات التعليمية المُتدنية. وَمَنْ تَقَبَّلَ تلك المعتقدات الاستعرارية من فئة المثقفين - أو حتى رجال الدين - لم يكن ليُعلن تقبله، بل يحرص على كتمانها.

وبالجملة، فقد اختفت أغلب الممارسات الغامضة من المشهد العام خلال القرن الثامن عشر، إلا أنها عادت - وبقوة - بعد حرب ١٨١٢م^(١). ومع الأزمات والكوارث التي كانت تمر بها الدولة الوليدة، انتشر الاهتمام بالثقافات البديلة والحركات الدينية الجديدة والتي تعتبر سلفاً مهماً لحركة «العصر الجديد» والديانات الوثنية الحديثة^(٢).

ومن الأسباب التي أسهمت في انتشار المعتقدات والممارسات الجديدة ما يلي:

- ١ - كثرة الأسفار والتنقل بين مناطق الأرض الجديدة نظراً لبعض العوامل الاقتصادية والاجتماعية، لا سيما مع تطور المواصلات وإقامة السكك الحديدية، حيث سهّل انتقال الأفكار إلى أماكن متفرقة من البلاد.
- ٢ - كان لنمو حجم المدن، وازدياد الأعداد السكانية دور في إتاحة الفرص للاجتماع حول الخطباء والمتحدثين الذين يدعون إلى أفكارهم.
- ٣ - خروج المرأة للعمل، مما أدى إلى إعادة النظر في الأشكال التقليدية للأسرة، وهي أفكار كان من السهل طرحها في الثقافة البديلة، بخلاف البيئة النصرانية المحافظة.
- ٤ - تزايد عدد المهاجرين الجدد، وما شكلوه من تحدٍّ للسيادة الفكرية النصرانية القائمة آنذاك، وقد كانت المزمريّة (Mesmerism)^(٣) من أبرز الفلسفات

(١) هي الحرب بين الولايات الأميركية المتحدة وبريطانيا، وقد استمرت حتى عام ١٨١٥م.

(٢) انظر: New Age and Neopagan Religions in America-Sarah Pike: (24, 39, 42).

(٣) المزمريّة: هي حركة روحانية أسسها أنتون مزمّر (١٧٤٣ - ١٨١٥م) طبيب ومنجم نمساوي. تعتقد المزمريّة بوجود طاقة عالمية غامضة تسري في الكائنات، وأنه لا يوجد فاصل بين الروح والمادة، كما يعتقدون بالوحدة بين الإله والكون. وقد كان المعالجون المزمريون يدخلون حالات من غياب الوعي يشخصون أثناءها أمراض المرضى، ويصفون لهم العلاج. انظر: New Age and Neopagan Religions in America-Sarah Pike: 46, and The Western Esoteric Traditions-Nicholas Clark: 173.

التي حملتها الجاليات المهاجرة من أوروبا، ومن أكثرها أثراً على الحركات التي نشأت لاحقاً.

٥ - ترجمة النصوص الشرقية إلى اللغة الإنجليزية في نهاية القرن الثامن عشر مما أسهم في تكوين البنية الفكرية لبعض التوجهات الدينية في القرن الذي يليه، بالإضافة إلى ازدهار الطباعة التي ساعدت في نشر تلك الأفكار.

٦ - زيارة مجموعة كبيرة من كبار الهندوس للولايات المتحدة في أواخر القرن التاسع عشر، حيث كان لهم دورٌ بارز في الترويج للفلسفات الباطنية. ولتلك الأسباب وغيرها أصبح للمعتقدات الاستسرارية الغامضة، والحركات الدينية الجديدة تقبل شعبي أوسع من السابق في الولايات الأمريكية المتحدة^(١).

إن حصر الحركات والفلسفات التي أسهمت في نشأة حركة «العصر الجديد»، وتلك التي تُعتبر سلفاً لها، يكاد يتعذر، فهي أكثر من أن تحصى في مثل هذا المقام، كما أنها متداخلة ومتشعبة، ولذلك سأكتفي بذكر أبرزها:

(١) الفلسفة المتعالية^(٢) (Transcendentalism):

الفلسفة المتعالية هي مجموعة من الأفكار والمعتقدات التي نشأت في الولايات المتحدة عند بداية القرن التاسع عشر كردة فعل للعقلانية السائدة في تلك الحقبة، وهي أول اتجاه فكري في الولايات المتحدة تظهر فيه آثار الفلسفة الشرقية - والهندوسية على وجه الخصوص -.

= وما تحسن الإشارة إليه أن المزمرة غالباً ما تقترن بالسويدنبورغية (Swedenborgism)، إلا أنني أغفلت ذكر الأخيرة نظراً لكونها اتجاهاً باطنياً ضمن الديانة النصرانية، ولن أعرج كثيراً على تلك التوجهات داخل الكنيسة؛ لأنها ليست - في الواقع - من صلب البحث، ولأن الحديث عنها يطول.

السويدنبورغية: هي فلسفة دينية أنشأها إمانويل سويدنبورغ (Emanuel Swedenborg) (١٦٨٨ - ١٧٧٢م) زاعماً أنها أوحيت إليه من عالم الأرواح، حيث يدعي إمانويل أنه حصل على تفسير خاص للكتاب المقدس من «الرب» عبر تلك الأرواح. انظر: The Dictionary of Philosophy-edited by: Dagobert D. Runes: 307.

(١) انظر: New Age and Neopagan Religions in America-Sarah Pike: (42-45), and Perspectives on the New Age-Andrea grace Diem & James R. Lewis: (48-49).

(٢) يمكن ترجمتها بالتجاوزية كذلك.

لقد انطلقت هذه الفلسفة من مقالة كتبها رالف إمرسن (Ralph Emerson)^(١) في عام ١٨٣٦م بعنوان: «الطبيعة»^(٢)، حيث كان إمرسن يمثل الصورة الأميركية للاتجاهات الباطنية في عبّاد الطبيعة. وفي العام نفسه تأسس ما يسمى بالنادي المتعالي (Transcendental Club) الذي كان يضم عدداً من المثقفين المهتمين بمبادئ إمرسن، ومن ثم تحولت الفلسفة إلى حركة منظمة متماسكة.

تقوم الفلسفة المتعالية على عدد من المبادئ والمعتقدات التي امتد بعضها إلى حركات وتوجهات لاحقة، خاصة حركة «العصر الجديد». ومن أبرز تلك المبادئ ما يلي:

الاعتقاد بأن للطبيعة البشرية قدرات خارقة لا يستخدم البشر سوى جزء يسير منها. وأن روح الفرد هي جزء من الروح الكلي.

تقديس الطبيعة، والاعتقاد بإلهية العالم^(٣).

الاعتقاد بأن تحقيق النجاة المطلقة (الخلاص) ليس خاضعاً لأي أمر خارجي (دين أو سلوك)، بل يمكن تحصيله بالالتفات إلى «الداخل»، حيث الطبيعة الإلهية. كما يمكن للإنسان - باكتشاف تلك الإلهية الكامنة - تحويل المجتمع، والارتقاء به.

تضفي الفلسفة المتعالية على العقل البشري والفكر المجرد صفة الفاعلية المؤثرة، وتنسب إليه القدرة على تغيير العالم بأفكاره^(٤).

لم تكن هذه الفلسفة آخر التجليات الغربية للفكر الباطني المتأثر بالشرق،

(١) رالف إمرسن: شاعر وكاتب أميركي ولد في عام ١٨٠٣م، ترأس أتباع الفلسفة المتعالية، كان متحدثاً مفوهاً، وله عدد من المقالات الشهيرة. توفي عام ١٨٨٢م.

انظر: The Dictionary of Philosophy-edited by: Dagobert D. Runes: 89.

(٢) تصفح موقع مركز رالف إمرسن: www.emersoncentral.com/co/texts/coo/nature.

(٣) وذلك بسبب الاعتقاد بوحدة الوجود، إذ لا فرق بين الخالق والمخلوق.

(٤) إن المقصود هنا ليس تغيير العالم من خلال النتائج العملية للفكر الإنسان، وما يتوصل إليه من نتائج ومخترعات - فهذا لا ينكره عاقل -، وإنما المقصود التأثير في البيئة الخارجية بمجرد السيطرة على الحالة الذهنية، والتحكم بالفكر. وهي معتقدات مستقاة من بعض المدارس الهندوسية التي تجعل العالم وهمياً ليس له وجود إلا بالذهن. وسينأتي - بإذن الله - مزيد تفصيل لهذا المبدأ في فصول لاحقة.

فقد انتقل الاهتمام بالديانات الشرقية والمعتقدات الباطنية إلى غيرها من الحركات اللاحقة؛ كالتيوصوفي، والروحية، وحركة الـ«فكر الجديد» التي يُعتبر إمرسن أباً روحياً لها. ورغم أن الفلسفة المتعالية تراجع وجودها كحركة مستقلة بعد الحرب الأهلية الأميركية، إلا أن أفكارها استمرت في الروحانيات البديلة أثناء القرون التالية^(١).

(٢) الروحية أو المذهب الروحي (Spiritualism):

تعتبر الروحية من المذاهب الغربية ذات التأثير الواضح بالمزمرية^(٢)، ويمكن تعريفها - بشكل مبسّر - بأنها: الاعتقاد بإمكانية التواصل مع أرواح الموتى^(٣). وقد كانت من أشهر التوجهات الفكرية في القرن التاسع عشر.

إن المحاولات البشرية للاتصال بالأموات ليست وليدة المذهب الروحي، وربما كانت بعض هذه الممارسات موجودة في القارة الأميركية قبل قدوم المستوطن الأوروبي، إلا أن الروحية لم تظهر كمذهب محدد ومستقل إلا في عام ١٨٤٨م مع قصة بنات أسرة فوكس الشهيرة.

تدور أحداث القصة في مدينة صغيرة بولاية نيويورك الأميركية التي كانت تقطنها أسرة فوكس. وفي أحد الأيام سمعت الأسرة صوت طرق على الخشب في ناحية من منزلهم الذي كان يُعتقد أن الأرواح تسكنه. وبعد مدة من الزمن ابتدأت كيت ومارغرت فوكس (Kate & Margaret Fox) - الشهيرات بالأخوات فوكس (Fox Sisters) - بمخاطبة مصدر تلك الأصوات، حتى أعلنت الأختان أن الأصوات تصدر عن روح رجل سبق قتله في البيت نفسه، وأنه بإمكانهما التواصل معه!

انتشر خبر الفتاتين في قريتهما الصغيرة، وأصبح الناس يتوافدون إلى منزل الأسرة لمشاهدة هذه الظاهرة العجيبة، حتى جاءت الأخت الكبرى للفتاتين

(١) انظر: The New Age Movement and Biblical Worldview-John Newport: (25-26), and New Age and Neopagan Religions in America-Sarah Pike: (49-50).

(٢) انظر: Perspectives on the New Age-Robert Ellwood: 81.

(٣) وفي بعض الأحيان لا يتم تقييد الأرواح بالموتى، فيكون الاتصال «بالأرواح» دون تحديد مصدر محدد لها.

لستثمر قدراتهما «الخارقة»، وتطلب رسماً مالياً ممن يريد مشاهدة الأعجوبة. وفي عام ١٨٤٩م تم التعاقد مع الأخوات للاستعراض في السيرك بعد أن تطورت طرق تخاطبهن مع الأرواح لتتجاوز الطريقة الأولية الساذجة. ومع ازدياد شهرة الأخوات في أنحاء البلاد أصبح التخاطب مع الأموات توجهاً منتشرًا تقبله كثير من الناس بصور متنوعة ومختلفة.

خُتمت هذه القصة باعتراف علني لـ كيت ومارغرت فوكس بأن كل ما كنَّ يفعلنه كان دجلاً! منذ بداية سماع أصوات الطرق في المنزل الصغير - والذي كان خدعة طفولية قامت بها الفتاتان - وحتى القراءات المتعمقة لعالم الأرواح فيما بعد. إلا أنه رغم ذلك الاعتراف، فإن أتباع هذا المذهب يتجاهلون هذه الجزئية من القصة تماماً^(١).

لقد كان للروحية أثر كبير على التوجهات الفكرية السابقة لحركة «العصر الجديد»، بل لا تكاد تجد حركة أو جماعة أو مذهباً مما له تعلق بالحركة إلا وتُشكّل «الأرواح» مصدراً رئيساً لرواده في تلقي العلوم، أو حتى أسدت إليهم نصائح فعالة في الزراعة والفلاحة! وهذا المذهب - وإن كان قد امتزج بعدد من الحركات الأخرى - يعتبر مذهباً مستقلاً عن غيره لا يزال موجوداً حتى اليوم. ومن رموز هذا المذهب: إدغر كيسي.

إدغر كيسي (Edgar Cayce):

ولد إدغر كيسي في عام ١٨٧٧م، وهو كاهن أميركي يُعرف بالنبى النائم نسبة إلى ممارسة غريبة كان يقوم بها، فقد كان يغمض عينيه ليدخل في حالة من غياب الوعي يتكهن أثناءها للأشخاص الراغبين، كما كان يشخص الأمراض ويصف العلاج وهو في تلك الحالة، ثم يدّعي أنه لا يذكر شيئاً مما عرض له بعد استفاقته.

قد لا يُعتبر إدغر كيسي من أتباع المذهب الروحي بالمعنى الحرفي، حيث كان يزعم أن له مصدرين يأخذ منهما معلوماته، هما: العقل الباطن، والعقل الكلي، ولم يصرح - فيما اطلعت عليه - بتواصله مع «الأرواح»، إلا أن ممارساته

(١) انظر: Another Gosper-Ruth A. Tucker: (321-322), Nd New Age: A Guide-Daren Kemp: 37, and The New Age: Notes of a Fringe Watcher-martin Gardner: 175.

كانت مطابقة تماماً لبعض حالات محضري الأرواح في العصر القديم والحاضر، فالغياب المتعمد عن الوعي، ثم التحدث بأسلوب مغاير لأسلوب المتحدث المعتاد يعتبر سمة عامة للوسطاء الروحيين^(١).

كان لكيسي مساعد يسجل كل ما يقوله أثناء غيبوبته، إلى أن أنشئت مؤسسة خاصة للعناية بتلك المؤلفات.

لقد كان كيسي مهتماً بقراءة الإنجيل، ولكنه كان يفسره من خلال الفلسفات الشرقية ويدمجها مع تعاليمه، وقد تأثرت حركة «العصر الجديد» بكثير من قراءاته للكتاب المقدس، بل يعده بعضهم المؤسس الفعلي للحركة^(٢).

(٣) الثيوصوفي (Theosophy):

يُرجع عدد من الباحثين البدايات الأولى لحركة «العصر الجديد» إلى عام ١٨٧٥م عندما تأسست جمعية الثيوصوفي على يد هيلينا بلافاتسكي وصاحبها العقيد هنري أولكت^(٣) (Henry Olcott)^(٤)، بحيث تُعتبر الثيوصوفي السلف المباشر لحركة «العصر الجديد» - بل قد تعتبر الحركة تجديداً لمذهب الثيوصوفي وتحديثاً لأفكاره بما يتناسب مع الروحانيات المعاصرة^(٥).

مدام بلافاتسكي (Madame Helena P. Blavatsky):

اسمها هِلِنا بتروفينا بلافاتسكي، مؤسس جمعية الثيوصوفي. ولدت بلافاتسكي في روسيا عام ١٨٣١م لأسرة نبيلة، وبدأت رحلاتها حول العالم وهي

(١) انظر: The New Age Movement and the Biblical Worldview-John P.Newport: 24.

(٢) انظر: The A to Z of New Age Movements-Michael York: 41, and Soul & Spirit (forward)-Edgar Cayce: (vii-xi).

(٣) هنري أولكت: كاتب ومحام أميركي ولد عام ١٨٣٢م، أسهم في تأسيس جمعية الثيوصوفي. يعتبر أول رجل ذي شهرة من أصول أوروبية يتحول إلى البوذية، وله تقدير ومكانة عند البوذيين. استمر في رئاسة مجتمع الثيوصوفي حتى وفاته في عام ١٩٠٨م.

انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition-E.V: art. 35763.

(٤) انظر: The Hidden Dangers of the Rainbow-Cumbey: 44, and Evangelizing the New Age-Paul McGuire 42, and New Age Living-Paul Roland: 16, and The New Age Cult-Walter Martin: 15.

(٥) انظر: The A to Z of New Age Movements-Michael York: (185-186)

في السابعة عشرة من عمرها، فتنقلت بين آسيا وأميركا وأوروبا. وقد قضت سبع سنوات في التبت زعمت أنها اطلعت أثناءها على خفايا السحر والتنجيم، ثم إنها اعتنقت البوذية أثناء رحلتها إلى سريلانكا.

بدأت دعوى بلافاتسكي بالتواصل مع الأرواح، والتمكن من إيصال أقوالهم إلى الناس أثناء إقامتها في القاهرة في بداية سبعينيات القرن التاسع عشر، وأصبحت تعقد الاجتماعات الخاصة بتحضير الأرواح (Séance)، وتعمل كـ«وسيط» بين الناس و«السادة» (Masters)^(١). ولكن إقامتها في مصر لم تطل، حيث انتقلت إلى الولايات المتحدة في عام ١٨٧٣م، وهناك انفتحت لها أبواب الشهرة، وأصبح عملها في تحضير الأرواح مهنة.

لقد كانت بلافاتسكي تزعم أن لها قدرات خارقة؛ كالطيران، وقراءة الأفكار، وغير ذلك، إلا أن اهتمامها كان منصباً على النظرية أكثر منه على التطبيق. وفي عام ١٨٧٤م التقت هيلنا بـ هنري أولكت الذي أعجب كثيراً بشخصيتها الغربية، وقدراتها «الخارقة»، وأعانها على كتابة مؤلفاتها التي ادّعت أنها بإملاء من أرواح «السادة»^(٢)، وفيها تكهنت هيلنا بقدوم «عصر جديد» يتحول فيه الإنسان، وتتبدل فيه المفاهيم، وبقدوم منقذ عظيم للبشرية كذلك^(٣).

زعمت بلافاتسكي في بعض مؤلفاتها أن الرسالة التي تلقتها بطرق استسرارية، وجاءت لتنشرها، هي - في الحقيقة - جوهر جميع الأديان، وهي المبادئ التي سبقت وجودها في قديم الزمان، كما كانت المبادئ النسوية الداعية إلى «تحرير المرأة» ظاهرة في تعاليم بلافاتسكي حيث دعت إلى الثورة على الإله «المذكر» الذي يعبد أصحاب الديانات السماوية، والعودة إلى الآلهة الأم التي يقدسها الهندوس^(٤)!

(١) «السادة»: (Masters) يراد بالسادة عند بلافاتسكي «أرواح» خفية لخواص البشر الذين توصلوا إلى مراحل متقدمة من النشوء والارتقاء، جاءوا إلى الدنيا ليعلموا الناس طريق الإشراف والاستنارة. انظر: The Hidden Dangers of the Rainbow-Constance Cumbe: 44.

(٢) ومن أشهرها: The Secret Doctrine, Isis Unveiled.

(٣) انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 5954, and The A to Z of New Age Movements-Michael York: 36, and The Hidden Dangers of the Rainbow-Constance Cumbe: (44-47) and Perspectives on the New Age-Kay Alexander: 31.

(٤) انظر: Jesus Christ the Bearer of the Water of Live-Vatican Document: 232.



رمز جمعية الثيوصوفي

لقد قامت بلافاتسكي بإعانة من أولكت - وبدعم مادي منه - بتأسيس المجتمع الثيوصوفي في ولاية نيويورك الأميركية عام ١٨٧٥م، إلا أن «السادة» كانوا قد أصدروا أمراً بإبقاء تعاليم الثيوصوفي سرية لمدة مائة عام؛ أي: حتى عام ١٩٧٥م، مما جعل الأتباع يتواصلون عن طريق الرموز والكلمات السرية.

استمر تواصل مدام بلافاتسكي المزعوم مع أرواح «السادة» حتى أمروها بنقل مقر الثيوصوفي من أميركا إلى الهند، وبالفعل انتقلت مع صاحبها إلى هناك في عام ١٨٧٨م، وأقاموا مركز القيادة العالمي في أديار. وفي الهند بدأت هِلنا بعرض رسائل ورقية تُبعث إليها دورياً من «السادة» في التبت، كما كانت تلك الرسائل تظهر في أماكن متفرقة وتحمل توجيهات لأشخاص معينين - عادة ما تكون توجيهات تخدم بلافاتسكي، أو المجتمع الثيوصوفي - إلا أن هذه الظاهرة العجيبة لم تلبث طويلاً حتى كشف زيفها، ونُشر ما يدل على ذلك في وسائل الإعلام، مما أثر سلباً على سمعة هِلنا بلافاتسكي حتى توفيت عام ١٨٩١م^(١). ولا تزال تلك الفضيحة تلاحق أتباع الثيوصوفي حتى اليوم.

جمعية الثيوصوفي (Theosophical Society):

معنى الثيوصوفي:

(الثيوصوفي) لفظ يوناني ينقسم إلى قسمين: (Theo): وتعني الإله، و(Sophy): وتعني الحكمة. وبذلك تكون الثيوصوفي - في اللغة - هي الحكمة المتعلقة بالإله. إلا أن هذه الفلسفة الدينية هي أبعد ما تكون عن الحكمة، فهي تعتمد على الخوارق البشرية، والاتصال المباشر مع الحقيقة الكلية لتحصيل العلوم الباطنية، ولا تعلق لها بالإله إذ هي قائمة على القول بوحدة الوجود^(٢).

= ملحوظة: الوثيقة غير مرقمة الصفحات، ولذلك أحلت إلى ترقيم الفقرات المتبع في الوثيقة.

(١) انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 5954, and The A to Z of New Age Movements-Michael York: 36, and The Hidden Dangers of the Rainbow-Constance Cumbe: (44-47), and Perspectives on the New Age-Kay Alexander: 31.

(٢) انظر: Modern Esoteric Spirituality-Emily B. Sellon & Renee Weber: 311.

أبرز مبادئ الثيوصوفي:

يعتبر الثيوصوفي نظاماً فلسفياً تفرع عن المذهب الروحي الأميركي، إلا أنه يتميز عنه بأمرين^(١):

١ - يولي الثيوصوفي اهتماماً أقل بالتواصل مع أرواح الأصدقاء أو أفراد الأسرة، ويجعل الاهتمام الأكبر بالاتصال بأرواح القادة الروحيين الذين يُطلق عليهم لقب: «السادة» الذين ينتمون إلى ما يسمى «الأخوة البيضاء العظيمة» (The Great White Brotherhood).

٢ - قام أتباع الثيوصوفي بدمج الفلسفات الشرقية في الفكر الغربي، وهم يستمدون كثيراً من المصطلحات من مصادر هندية^(٢)، لا سيما مبدئي الكارما^(٣) وتناسخ الأرواح^(٤).

يقوم النظام الفكري الثيوصوفي على دعوى أن الحقيقة مشتركة متحدة غير متعددة، فالديانات المختلفة في أنحاء العالم متفقة في الجوهر وإن اختلفت في المظهر، إذ المظاهر الدينية ليست سوى تجسيدات منحرفة لحقيقة الدين الباطنة.

كما أن مصدر الوجود في الفكر الثيوصوفي دوري ذاتي يتحدد وفق قوانين النشوء والارتقاء، فهو ليس صادراً عن ذات مابينة ولا هو مُوجَد من العدم، وكل ما في الوجود هو نتيجة تطور وجود سابق.

أما تحقيق الخلاص فليس منوطاً بالأعمال الصالحة، وليس له تعلق بالإيمان أو الاعتقاد، وإنما يتحقق بالتوصل إلى مراتب عالية من «الوعي» تتأني

(١) انظر: The A to Z of New Age Movements-Michael York: 185, and Perspectives on the New Age-j. Gordon Melon: 18.

(٢) انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 47016.

(٣) الكارما: هي من أبرز العقائد الهندوسية، ويمكن ترجمتها بقانون الجزاء. فهي حصيلة ما يحدثه الإنسان من سلوكيات، وتأثير في المجتمعات، وما يترتب عليها من آثار في حياته الحالية أو المستقبلية، حسب معتقد الهندوس في تناسخ الأرواح.

انظر: الفلسفة في الهند: د. علي زيعور ص ١٣٢، وتحقيق ما للهند من مقولة: البيروني ص ٣٨ - ٣٩.

(٤) الموقع الرسمي لمركز القيادة العالمية لجمعية ثيوصوفي: Basic: (www.theosociety.org: Concepts)

من خلال اتباع أساليب التهذيب المحددة، وتحصيل الأسرار الباطنية^(١)، حيث يعتبر تحقيق الاستنارة، أو الإشراق من أهم أهداف الثيوصوفي ومذهب الروحية. ولذلك فإن الثيوصوفي تعتبر تطبيقاً غريباً للفكر الباطني والفلسفات الشرقية^(٢).

أهداف جمعية الثيوصوفي:

لقد كانت الأهداف المعلنة لجمعية الثيوصوفي كالتالي:

- ١ - إيجاد مركز يهدف لتحقيق الأخوة الإنسانية العالمية دون تمييز بين الناس بسبب العرق، أو العقيدة، أو الجنس، أو الطبقة، أو اللون^(٣).
 - ٢ - تشجيع الدراسات المقارنة بين الأديان والفلسفات والعلوم.
 - ٣ - استكشاف القوانين غير المفسرة للطبيعة، والقوى الكامنة في الإنسان^(٤).
- أما شعار الثيوصوفي، فقد كان: «لا دين أعلى من الحق»^(٥).

○ الثيوصوفي في إنجلترا:

تأسست جمعية الثيوصوفي في إنجلترا بعد ميلتها في أميركا بعام، وأدت دوراً مهماً في تعريف كثير من البريطانيين - وعدد كبير من الطبقة الأرستقراطية -

(١) التقدم الروحاني في الثيوصوفي يتحقق من خلال: الممارسات الباطنية كاليوغا، والتأمل، والتناسخ الذي يتيح للسالك فرصاً متعددة للإصلاح، وبإعانة السادة الروحانيين وهو أهم الطرق بالنسبة لاتباع الثيوصوفي.

انظر: The A to Z of New Age Movements-Michael York: 186.

(٢) انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 3481, and An Encyclopedia of Religion- edited by Vergilus Ferm: 783, and The Hidden Dangers of the Rainbow-Constance Cumbe: 44, and Evangelizing the New Age-Paul McGuire: 42, and New Age Living-Paul Roland: 16, and The New Age Cult-Walter Martin: 15.

(٣) وهذا مبني على أن جوهر البشر واحد، وهو مطلق خالد وغير مخلوق. ويختلف هذا المطلق بحسب المعتقد فهو إما الإله أو الطبيعة. تصفح الموقع الرسمي للمجتمع الثيوصوفي: www.theosociety.org: (objectives)

(٤) انظر: Perspectives on the New Age-Kay Alexander: 31|co| and The A to Z of New Age Movement-Michael York: 186.

(٥) انظر: The Secret Doctrine-Helena Blavatsky: 1./ii, and Perspectives on the New Age-Kay Alexander: 31 and Modern Esoteric Spirituality-Emily B. Sellon & Renee Weber: 318.

والموقع الرسمي لمركز القيادة العالمية لجمعية الثيوصوفي: www.theosociety.org

بالفلسفات الهندوسية والبوذية^(١).

ولما انتقلت القيادة الثيوصوفية من نيويورك إلى الهند في عام ١٨٧٨م، أصبح لها دور مساند للحركات الهندية القومية التي كانت تسعى لإسقاط الكنيسة الإنجليزية وإضعاف الحكم البريطاني في المنطقة. فكانت النتيجة تعاون بعض كبار رجالات البوذية والهندوسية مع الثيوصوفي، من أبرزهم سوامي فيفكانادا الذي يعتبر مؤسس (Swarmi Vivekanada)^(٢) مذهب الفيدانتا^(٣) في الولايات المتحدة^(٤).

○ أني بيسانانت (Annie Besant):

انتقلت قيادة جمعية الثيوصوفي بعد وفاة هيلنا بلافاتسكي إلى أني بيسانانت؛ كاتبة أيرلندية وناشطة في حقوق المرأة، إلا أنها - بعد التقائها ببلافاتسكي - قل اهتمامها السياسي والتفت إلى الفكر الثيوصوفي.

استمرت الثيوصوفي في النمو والازدهار تحت قيادتها الجديدة، حتى وقعت بيسانانت في خطأ فادح أضيف إلى فضيحة بلافاتسكي الأولى، فقد حاولت أني إبراز منقذ للعالم يتولى قيادته مع حلول «العصر الجديد»، حيث كانت قد تكهنت بظهوره من قبل، فوقع اختيارها على طفل هندوسي كان يعيش مع والده الذي يعمل خادماً في مقر الثيوصوفي في الهند.

(١) انظر: Perspectives on the New Age-edited by: Kay Alexander (32-33).

(٢) سوامي فيفكانادا: هو أبرز تلاميذ رامنا كريشنان مؤسس المدرسة السمارتية الهندوسية، ولد عام ١٨٦٢م، وكان خطيباً مفرهاً، ومدافعاً عن الفيدانتا (الكتب الهندوسية المقدسة). خلف كريشنان، ونشر حركته حول العالم حيث أسس لها فروعاً داخل الهند وخارجها. وكان الناطق باسم الهندوسية في برلمان الأديان الذي عقد في شيكاغو عام ١٨٩٣م فأحدث أثراً في المشاركين. توفي عام ١٩٠٢م. انظر: الأديان الحية: أدب صعب ص ٤١.

(٣) الفيدانتا: المعنى الحرفي للفيدانتا هو: الجزء الأخير من الفيدانتا، ويقصد بها المدرسة الهندوسية التي تركز على «تحقيق الذات»؛ أي: إدراك ما يعتقدونه من حقيقتها الإلهية. تعتمد فلسفتها بشكل رئيس على نصوص الأوبانيشاد التي تعتبر ملحقات للفيدانتا. انظر: الفكر الشرقي القديم: جون كولر ص ١٢٧.

(٤) انظر: Perspectives on the New Age-Kay Alexander: 32, and Modern Esoteric Spirituality- Emily B. Sellon & Renee Weber. (313-314), and the Hidden Dangers of the Rainbow-Cumbey: 46. and Perspectives on the New Age-Kay Alexander: 32.

تبنت بيسانت الطفل كرشنامرتي (Jiddo Krishnamurti)^(١) ثقافياً، وأنشأته في أجواء المجتمع الثيوصوفي حتى أكمل تعليمه في أوروبا. وقد عظمه أتباع الثيوصوفي حتى اعتبره بعضهم تجسداً للبوذا (Bodhisattva Avatar). لكن أحلام بيسانت تحطمت - مع ما كان يتأمله أتباعها - عندما تنصّل كرشنامرتي في عام ١٩٢٨م من الدور الذي أعدد له، بعد سنين طويلة من الإعداد والتدريب والتعليم، فقد رفض جميع أنواع الاتّباع أو الاعتقاد المنظم، وآثر الاستقلالية الروحانية. فتأثرت الثيوصوفي كثيراً بذلك الحدث المفاجئ، ولم تعد لها المكانة ولا الأثر الذي كان لها من قبل.

توفيت آني بيسانت في عام ١٩٣٣م، فانتقلت قيادة المجتمع الثيوصوفي إلى أليس بيلي^(٢).

○ أليس بيلي (Alice Bailey):

ولدت أليس بيلي عام ١٨٨٠م في إنجلترا التي أمضت فيها سنوات شبابها، وقد ادّعت بيلي أنه حصل لها لقاء مع رجل معمم من «السادة»^(٣) في تلك الحقبة، ولكنها لم تدرك كنهه إلا بعد مدة طويلة عندما انتقلت أليس من مسقط رأسها إلى كاليفورنيا - أحد مقرات المجتمع الثيوصوفي - تحت تعليمات ذلك «السيد»^(٤). وبعد انتقالها بمدة يسيرة التقت بيلي بامرأتين إنجليزيتين تعرفت من

(١) كرشنامرتي: ولد كرشنامرتي الهندي الأصل في عام ١٨٩٥م، استقطبته جماعة الثيوصوفي - تحت رئاسة آني بيسانت - وأعدته ليكون المنفذ المنتظر، أو (الماتريا) الذي سيقود البشرية في العصر الجديد، فنقلته إلى إنجلترا عندما أكمل الخامسة عشرة من عمره لإتمام دراسته. لكن لما بلغ كرشنامرتي أشده، رفض تقلد المنصب الذي أعدد له، واستمر في توجيه الروحي المستقل. كان يستخدم المصطلحات والمفاهيم الهندوسية مع استقلاله عن التنظيم الديني، وهي سمة ظاهرة في حركة «العصر الجديد» من بعده. توفي عام ١٩٨٦م.

انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 27190, and The A to Z of New Age Movements-Michael York: (106-107).

(٢) انظر: The Hidden Dangers of the Rainbow-Cumbey: (47-48), and The A to Z of New Age Movements-Michael York: (36-37, 186). And New Age: A Guide-Daren Kemp: 39.

(٣) وهو أحد «السادة» الذين تكررت زيارتهم لأتباع الثيوصوفي، واسمه دجوال خول (Djual Khul).

(٤) انظر: The A to Z of New Age Movements-Michael York: 43, and New Age-Daren Kemp: (40-41).

خلالهما على الثيوصوفي، وكانت من أكثر الناس جهوداً - بعد بلافاتسكي - في إرساء اللبنة الأولى لحركة «العصر الجديد».

كتبت بيلي عدداً كبيراً من المؤلفات التي تحتوي على تعاليم «السادة» الدقيقة للأتباع في مستقبل الزمان والذين سيأتون في نهاية القرن العشرين على وجه التحديد. ويعتبر كتاب: عودة ظهور المسيح The Reappearance of the Christ أهم مؤلفات ألس بيلي، وفيه أبرزت مصطلح «العصر الجديد» ومفهومه. واستناداً إلى تعاليم «السادة» حول الإبقاء على سرية التعاليم، قررت الإعلان عن مسيح «العصر الجديد» وعن التعاليم السرية سيكون بعد عام ١٩٧٥م من خلال جميع الوسائل الإعلامية المتاحة.

تحدثت كتابات بيلي عن عدد من المواضيع المهمة، منها: قدوم «عصر جديد»، وعن نظام عالمي جديد، ودين عالمي جديد، ورغم أنها كانت تنتسب إلى الديانة النصرانية إلا أنها - في الواقع - كانت أقرب إلى الديانات الشرقية، حيث كانت تعتقد بالوهمية الإنسان، وتناسخ الأرواح^(١).

انفصلت بيلي عن الثيوصوفي في عام ١٩٢٢م، كتنظيم لا كفكر، فقد كانت لها جهود هائلة في نشر الفكر الثيوصوفي والتأسيس لحركة «العصر الجديد» حيث أقامت عدداً من المؤسسات التي تتبنى نشر مبادئه، منها مدرسة آرकिन (Arcane School) التي تأسست في عام ١٩٢٣م والتي يسعى تلاميذها إلى استحداث قدوم «العصر الجديد»^(٢).

(٤) حركة «الفكر الجديد» (New Thought Movement):

لم يعد للمذهب الروحي ولا الثيوصوفي وجود بارز في القرن العشرين، إلا أن بعض أفكارهما امتدت خلال حركة «الفكر الجديد»، فقد اشتركت مع الثيوصوفي في السعي لتحقيق أخوة إنسانية عالمية، ونشر ثقافة وحدة الأديان^(٣).

(١) انظر: The Hidden Dangers of the Rainbow-Cumbey: 50, and The A to Z of Age Movements-Michael York: (34-35).

(٢) انظر: The Hidden Dangers of the Rainbow-Cumbey: (49-50), and Children of the New Age-Steven J. Sutcliffe: 47.

(٣) انظر: Perspectives on the New Age-Kay Alexander. 31.

كما اعتبرت صورة أميركية للمزمرية نظراً لشدة تأثيرها بها^(١).

ظهرت حركة «الفكر الجديد» في الولايات المتحدة الأميركية، وهي حركة فكرية روحانية تجمع بين طوائف متعددة تحمل مبادئ مشتركة حول أثر التفكير الإيجابي، وقانون الجذب^(٢)، وتعظيم القدرات البشرية الكامنة، والاعتقاد بطاقة الحياة الفلسفية الباطنية^(٣)، وغيرها من المفاهيم التي راجت بين أتباع حركة «العصر الجديد» من بعد^(٤).

لقد كانت النظرة المثالية التي تبنتها حركة «الفكر الجديد» للعقل والجسم مطابقة لتلك التي دعت إليها حركة «العصر الجديد» من بعد، حيث تُوقعان مسؤولية المرض والشفاء على الفرد نفسه، وتجعلان الفكر المجرد قادر على تشكيل الواقع وخلق^(٥).

وقد تحدت ملامح هذه الحركة في أواخر القرن التاسع عشر وفق مبادئ قررها فينيس كويمبي قبل ذلك بعقود عدة.

○ فينيس كويمبي (Phineas Quimby):

معالج أميركي، ولد في عام ١٨٠٢م، ودرس المزمرية بتعمق، واستنبط منها طرقاً علاجية، حتى قرر أن المرض ليس سوى وهم، وأن السبب في ظهوره هو خلل في التفكير، ولذلك يرى كويمبي إمكانية معالجة جميع الأمراض، والوقاية منها من خلال تصحيح الفكر. وحسب رأي كويمبي فإن أبرز ثلاثة أسباب تفضي إلى اختلال الفكر هي: الدين، والمنطق، والأدوية، إذ هي التي تكرس القناعة بوجود المرض.

(١) انظر: New Age and Neopagan Religions in America-Sarah Pike: 46, Perspectives on the New Age-Kay Alexander: 30.

(٢) قانون الجذب: يعتقد أنه قانون كوني يحكم الواقع الذي يعيشه الإنسان، فالأفكار التي تكون في ذهن الإنسان تتحول إلى وجود مادي، وله أصول في الديانات الشرقية. وسيأتي مزيد تفصيل له لاحقاً بإذن الله.

(٣) طاقة الحياة: هي طاقة فلسفية نشأت في الديانات الشرقية، وتمثل الوجود المطلق، وكل موجود ليس إلا صورة لها.

(٤) انظر: The A to Z of New Age Movements-Michael York. 133.

(٥) انظر: New Age and Neopagan Religions in America-Sarah Pike. 53.

أما بالنسبة لآراء فينيس كويمبي حول الإلهيات، فإنه يرى أن الإله هو الحكمة^(١)، وأن المادة ليست سوى صورة مكثفة لحقيقة الحكمة، وبتعبير آخر: وحدة وجود.

توفي كويمبي في عام ١٨٦٦م^(٢).

لقد كانت إماً هوبكنز (Emma Curtis Hopkins)^(٣) من أبرز تلاميذ كويمبي حيث أسهمت أفكارها إلى جانب أفكار معلمها - في تشكيل «الفكر الجديد»^(٤).

ظهرت تسمية «الفكر الجديد» في تسعينيات القرن التاسع عشر، وتحددت معالم هذا الفكر مع بداية الحرب العالمية الأولى. وفي عام ١٩١٤م تكون «الاتحاد العالمي للفكر الجديد» من مجموعات متنوعة تشكلت من تلاميذ هوبكنز، ثم أصدر إعلان مبادئ الحركة في ١٩٥٧م.

ورغم أن مقر حركة «الفكر الجديد» الرئيس هو في الولايات المتحدة، إلا أن الجماعات التابعة لها تنتشر في أنحاء العالم^(٥). كما أن هناك عدداً من الجماعات التي تندرج تحت مسمى «الفكر الجديد» يمكن تصنيفها ضمن حركة «العصر الجديد» كذلك^(٦).

○ دورة في المعجزات (A Course in Miracles):

لقد كان من أشهر مطبوعات «الفكر الجديد» - التي تمثل أفكار الحركة -

(١) وهذا كقول القائلين بأن الوجود هو العقل، أو هو الوعي.

(٢) انظر: The A to Z of New Age Movements-Michael York: 150. and the Columbia Encyclopedia 6th Edition 40195.

(٣) إما كرتس هوبكنز: من أبرز مؤسسي حركة «الفكر الجديد» وتلميذه فينيس كويمبي، تسمى معلمة المعلمين. انفصلت عن الحركة في عام ١٨٨٥م وأسس تلاميذها مراكز خاصة بهم، وكنتيجة لأفكارها ظهر «اتحاد الفكر الجديد». توفيت عام ١٩٢٥م. انظر: The A to Z of New Age Movements-Michael York: 93, and Perspectives on the New Age-Lewis & Melton: (16-17).

(٤) انظر: Perspectives on The New Age-edited by: Lewis & Melton: 16. The A to Z of New Age Movements-Michael York: 150.

(٥) انظر: The A to Z of New Age Movements-Michael York: (133-134).

(٦) منها: Unity, Divine Science, Religious Science, the Adventures in Enlightenment Foundation. Miracle Experiences inc.

كتاب مكون من ثلاثة مجلدات، اسمه: دورة في المعجزات (A Course in Miracles)، وهو من جملة الكتب التي أملتتها «الأرواح»، تدعى مؤلفته د. هيلن شوكمين (Dr. Helen Schucman)^(١) أنها سمعت صوتاً يقول لها: (هذه دورة في المعجزات، الرجاء تقييد المعلومات!)، وذلك بعد أن تعرضت لسلسلة من الأحلام والرؤى الغريبة.

نُشر الكتاب لأول مرة في عام ١٩٧٥م، دون إشارة إلى كاتبته، فهي - بزعمهم - ليست سوى وسيط، ولأن الكتاب يراد له أن يقوم بنفسه. كما تمت ترجمة الكتاب إلى ما يقارب العشرين لغة، وغيرها مما لا يزال في طور الترجمة. يعتبر هذا النص - عند بعض الباحثين - الصورة النصرانية لمدرسة الفيديانتا الهندوسية، وقد حظي بعناية واهتمام حركة «العصر الجديد» فيما بعد^(٢). ولعل من أهم النقاط التي يُعرَّجُ عليها في هذه «الدورة» ما يلي:

- ١ - أن البشرية تستحق العقوبة لاعتقادها بانفصالها الدائم عن الإله.
- ٢ - أن هذا الانفصال أصبح واقعاً بسبب ما يعتقدونه الناس حقاً، ولا بد من علاج هذا الخطأ بإدراك الحقيقة الإلهية للذات البشرية.
- ٣ - أن الهدف من الدورة هو نشر الحب الإلهي بين الناس لإيقاظ وشفاء الآخرين^(٣).

وقد جاء في مقدمة الكتاب:

«... ولذلك يمكن تلخيص الدورة بشكل ميسر كالتالي:

كل ما هو حق لا يمكن أن يهدد

وليس في الوجود ما ليس بحق

(١) هيلن شوكمين: أستاذة علم النفس في جامعة كولومبيا، ولدت لأسرة يهودية، ولكنها تنصرت، ثم مالت إلى اللادينية أثناء دراستها العلمية. في عام ١٩٦٥م ادّعت أنه أوحى إليها نص في المعجزات، واستمر هذا «الوحي» لمدة سبع سنوات، كانت نتيجته ثلاثة مجلدات هي من أشهر نصوص «الفكر الجديد» توفيت عام ١٩٨١م. انظر: New Age: A Guide-Daren Kemp: (14-15), and The A to Z of New Age Movements-michael York: 9.

(٢) انظر: The A to Z of New Age Movements-Michael York: 11, and New Age and Neopagan Religions in America-Sarah Pike: 36.

(٣) انظر: The A to Z of New Age Movements-Michael York: 10.

هنا يكمن سلام الإله»^(١).

(٥) ثقافة الهيببي (Hippie Culture):

تعتبر ثقافة الهيببي - التي ظهرت في أميركا كردة فعل للمادية الغربية والأوضاع السياسية ما بعد الحرب العالمية الثانية - سلفاً مباشراً لحركة «العصر الجديد».

اعتنق الهيبيز الروحانيات البديلة، ودعوا إلى الحرية السلوكية والعقائدية المطلقة، مع اهتمامهم الملحوظ بالطبيعة والبيئة. كما انتشرت في أوساطهم المخدرات، وعقاقير الهلوسة كوسيلة لتحويل الوعي، وإيصاله إلى مراحل عالية. هذا بالإضافة إلى ممارسة التأمل الشرقي واليوغا لتحقيق الهدف ذاته^(٢).

وقد أسهم خروج الفيلم الموسيقي (Hair) عام ١٩٦٧م في نشر ثقافة الهيببي ومعتقداتهم، بالإضافة إلى نقله البشارة بـ «العصر الجديد» - عصر الدلو - إلى أوساط العوام والمستويات الشعبية^(٣).

(٦) حركات القدرة البشرية الكامنة (Human Potential Movements):

نشأت حركة القدرات البشرية الكامنة في ستينيات القرن العشرين حول فكرة الإمكانيات الخارقة الكامنة في النفس البشرية، والعمل على تنمية الذات وتطويرها، إلا أن هذا الاهتمام بالنفس البشرية مقترن بالاعتقاد بوجود شرارة إلهية تكمن في داخلها، متى تم إطلاقها تمتع الإنسان بقدرات غير محدودة^(٤).

(١) تصفح موقع: Foundation of Inner Peace، المنظمة الموكلة بنشر الكتاب من قبل د. شوكن.

ويقدم الموقع دروساً في دورة المعجزات عبر الشبكة، وينظم اجتماعات بين المهتمين، كما يتولى بيع بعض المواد العلمية المتعلقة بالدورة. علماً أن الكتاب قد تم توفيره بتسعة عشر لغة مع العمل على ترجمته إلى لغات إضافية، ليست العربية - حتى تقيده - منها.

(٢) انظر: New Age and Neopagan Religions in America-Sarah Pike: (81-82) k and Evangelizing the New Age-Paul McGuire: (42-43).

(٣) انظر: Children of the New Age-Sтивен J. Sutcliffe: 28.

(٤) انظر: The A to Z of New Age Movements-Michael York: 95.

ومن صفات الحركة ما يلي:

١ - التركيز على كل ما من شأنه تنمية النفس البشرية، وتطوير الذات - بغض النظر عن إمكانية ثبوته علمياً.

٢ - الاعتقاد «بقوة الحياة» (Live Force)، وهي الطاقة الكونية في المعتقدات الشرقية، أو ما يسمى برانا (Prana)، ويمكن تحصيلها واستقطابها عن طريق اليوغا^(١).

ويعتبر معهد إيسالين (Esalen Institute) المركز الجغرافي لحركة القدرات البشرية الكامنة.

○ معهد إيسالين:

في عام ١٩٦١م تولى مايكل مرفي (Michael Murphy) وأحد زملائه في جامعة ستانفورد إدارة أملاك أسرة مرفي بمنطقة بـغ سُر (Big Sur) في ولاية كاليفورنيا الأميركية. وكان مايكل مرفي قد قضى مدة في الهند، تعلم خلالها التأملات الهندوسية الباطنية على يد فيلسوف هندوسي^(٢) هناك، يقرر بأن الإنسان كائن تطوري لم يصل بعد إلى مرحلته الأخيرة من الارتقاء، ويرى الجمع بين الوجود المادي والروحاني، فنقل مرفي تلك الممارسات والفلسفات إلى الولايات المتحدة، وأخذ ينظم الدورات في المعهد الذي أنشأه على أرض أسرته بهدف إطلاق القدرات البشرية الكامنة، وإحداث ثورة في «الوعي» العالمي^(٣).

وقد ظهر عدد من المراكز على شاكلة إيسالين في مناطق ذات طبيعة خلابة، تختلط فيها العلوم النفسية بالممارسات الروحانية، كاليوغا وعدد من الأفكار الباطنية، منها مؤسسة فندهورن.

(٧) مؤسسة فندهورن (Findhorn Foundation):

تأسست مؤسسة فندهورن - والتي تسمى «فاتيكان العصر الجديد» - في عام

(١) انظر: Perspectives on the New Age-Kay Alexander: 42, and Humanistic and Transpersonal Psychology-edited by: Donaid Moss: 33.

(٢) اسمه سري أوروبندو (Sri Aurobindo).

(٣) انظر: The Cosmic Self-Ted Peters: (11-14), and New Age and Neopagan Religions in America-Sarah Pike: 80, and Perspectives on the New Age-Kay Alexander: (36-37).

١٩٦٢م على يد الزوجين بيتر وأيلين كادي^(١) (Peter & Eileen Caddy) وصديقتهما دوروثي مكليين^(٢) (Dorothy Mclean)، وهي مركز عالمي للتشفيق الروحي، وتطوير الذات في شمال سكوتلندا.

○ نشأة مؤسسة فندهورن:

انتقل الزوجان كادي وصاحبتهم دوروثي مكليين للعيش في بيت متنقل بالقرب من ساحل فندهورن نظراً لبعض الظروف المالية الحرجة. ولما أرهقتهم تكاليف المعيشة قرروا إنشاء حديقة صغيرة في الأرض المجاورة لمنزلهم؛ ليأكلوا من نتاجها. فقامت دوروثي بتولي مهام الزراعة والحرث، إلا أنها لم تتبع الطرق التقليدية في ذلك - بل أصبحت تتخاطب مع «أرواح» النباتات لتأخذ منهم النصائح والتوجيه. ولما تكاملت المزرعة الصغيرة التي أقيمت على أرض خالية من الزرع أصلاً، يزعم أتباع فندهورن أنها أنتجت خضروات ضخمة ليس لها مثيل على وجه الأرض^(٣)! فأصبح أعداد كبيرة من المهتمين بخوارق العادات

(١) بيتر كادي: ولد بيتر في ١٩١٧م في إنجلترا، تأثر باهتمام والده بأنواع من الاستشفاء الروحاني. التقى بوسيط روحي عالجه في شبابه، فأصبح بعدها يتشكك في النصرانية، وسعى في البحث عن «الحقيقة» بنفسه حتى توصل في آخر الأمر إلى إنشاء مؤسسة فندهورن مع زوجته وصديقتهم. توفي عام ١٩٩٤م.

انظر: Children of the New Age-Steven J. Sutcliffe: (48-49).

أيلين كادي: ولدت أيلين في الإسكندرية عام ١٩١٧م، وبعد وفاة والدها اتجهت - مع والدتها - إلى بعض التيارات الباطنية داخل الكنيسة، تزوجت بيتر كادي، وأسست معه مؤسسة فندهورن التي تعتبر مركزاً عالمياً لأتباع حركة «العصر الجديد»، توفيت في عام ٢٠٠٦م.

انظر: Children of the New Age-Steven J. Sutcliffe: (58-59).

(٢) دوروثي مكليين: ولدت عام ١٩٢٠م في كندا، وعملت في نيويورك، ثم انتقلت إلى إنجلترا، حيث التقت ببيتر كادي واشتركت معه في بعض الممارسات الروحانية، وقد أسهمت في تأسيس مؤسسة فندهورن في عام ١٩٦٢م واشتهرت بادعائها مخاطبة «أرواح» الطبيعة، وزراعة الخضروات الضخمة. تركت مكليين المؤسسة في عام ١٩٧٣م وعادت إلى أميركا حيث اشتركت مع ديفد سبانغلر في بعض نشاطاته.

انظر: Children of the New Age-Steven J. Sutcliffe: 58.

(٣) علماً هذه الخضروات «الخارقة» ليس عليها دليل سوى أقوال أتباع حركة «العصر الجديد»، أما مجرد الزراعة في تلك الأرض فقد قرر المختصون أن ذلك ممكن إذا تمت العناية اللازمة بالمزروعات.

يتوافدون على مقر فندهورن، ليتلقوا الإرشادات الروحانية، ويشكلوا مجتمعاً جديداً يهدف إلى الارتقاء «بالوعي» العام، ويقدم الروحانيات البديلة مع السعي لاكتشاف الإله الكامن في الداخل.

ومع مرور الزمن تحول المجتمع الصغير إلى مؤسسة عالمية تستقطب آلاف الزوار والمريدين من جميع أنحاء العالم، وتقيم العديد من الدورات التثقيفية التي تربط بين المبادئ الروحانية والحياة الاجتماعية، والبيئة، والاقتصاد. كما تدرس في المؤسسة تعاليم مدام بلافاتسكي، وأليس بيلي، وغيرهما من قادة الفكر الباطني - بل إن مؤسسة فندهورن تعتبر أليس بيلي نبية «العصر الجديد»^(١)! وقد تم الاعتراف بمؤسسة فندهورن كمؤسسة خيرية رسمية - غير حكومية - من قبل الأمم المتحدة في عام ١٩٩٧م^(٢).

لقد استقطبت فندهورن عدداً من قيادات حركة «العصر الجديد» على مر السنين، منهم من كانت زيارته عابرة، ومنهم من مكث في مقرها مدة من الزمن. ولعل من أبرز أولئك الزوار الثيوصوفي الأميركي ديفيد سبانغلر.

○ ديفيد سبانغلر (David Spangler):

انضم ديفيد سبانغلر - وهو من كبار المتحدثين باسم حركة «العصر الجديد» - إلى فندهورن في عام ١٩٧٠م. وحظي باستقبال حافل حيث ادّعت مكليين أو - أيلين كادي - أن «الأرواح» أوحى إليها بأن سبانغلر صاحب خصوصية وتميز، فُعِين حال وصوله شريكاً في إدارة المؤسسة، ومتحدثاً رسمياً باسمها.

استمر ديفيد في العمل في إدارة فندهورن حتى عام ١٩٧٣م حيث قرر العودة إلى الولايات المتحدة، وبعد رجوعه أسس سبانغلر جمعية لوريان (Lorian Association) التي تعمل على نشر التعاليم الروحانية التي تهيب لقدم «العصر الجديد».

لـ ديفيد سبانغلر عدد من المؤلفات التي تعبر عن آرائه وفكره، من أبرزها كتاب (Revelation: The Birth of a New Age)، أو: (التحلي: ولادة عصر جديد) الذي

(١) انظر: New Age and Neopagan Religions in America-Sarah Pike: (28-29), and The Hidden Dangers of the Rainbow-Cumbey: 51, and The A to Z of New Age Movements-Michael York: 74.

(٢) انظر: The A to Z of New Age Movements-Michael York: (73-74).

تم تأليفه في عام ١٩٧٦م بإيحاء من «النفس العليا»، ويمثل هذا الكتاب رؤى حركة «العصر الجديد» وأهدافها، وإن كان سبانغلر لا يرى وصفها بـ «الحركة»، ويرى - بخلاف بيلي - أن مسؤولية قدوم «العصر الجديد» تقع على عاتق المؤمنين به.

إن كتاب ديفيد سبانغلر الآنف ذكره هو مما تقرّر تدريسه وقراءته في مؤسسة فندهورن إلى جانب كتابات أليس بيلي ومدام بلافاتسكي. ولا يزال سبانغلر يعمل - حتى تقييده - في نشر مبادئه عبر الكتابة والإلقاء^(١)، ويعتبره كثير من رواد حركة «العصر الجديد» نبياً، وإن لم يكن ذلك بالمعنى الحرفي للكلمة^(٢).

○ سير جورج تريفلان (Sir George Trevelyan)^(٣):

سير جورج تريفلان خطيب ومتحدث بريطاني، ولد في عام ١٩٠٦م، له اتصال وثيق بمؤسسة فندهورن ويسمى جدّ حركة «العصر الجديد»، أقام عدداً من الدورات في العلوم الاستشرارية الباطنية منذ عام ١٩٤٨ - ١٩٧١م بعد أن تقاعد من عمله في الجامعة. وكان من أبرز ما تميزت به تعاليمه الجمع بين الفلسفات القديمة، ومكتشفات العلم الحديث، والعلوم النفسية المعاصرة.

ركز تريفلان في محاضراته على التحرر من كل سلطة خارجة عن النفس، متهجماً على العقائد والأديان، فهو يرى أنه لا يجب على الإنسان أن يتقبل إلا ما يراه حقاً دون أي مؤثر خارجي. وقد كان يعقد اجتماعاً سنوياً للمهتمين بالروحانيات الحديثة والاستشفاء، ويعتبر بعض الباحثين هذه الاجتماعات هي النواة الأولى لحركة «العصر الجديد» في بريطانيا. ألّف العديد من الكتب التي تمثل فكره وتوجهاته. توفي عام ١٩٩٦م^(٤).

(١) انظر: The Hidden Dangers of the Rainbow-Cumbey: (51-52), and The A to Z of New Age Movements-Michael York: 172, and Christian Responses to the New Age Movement-Jon Saliba: 4.

(٢) انظر: The New Age Cult-Walter Martin: 114.

(٣) وقد تم ذكره بعد سبانغلر رغم تقدمه على سبانغلر من حيث الزمان - لأهمية سبانغلر بالنسبة إلى كل من مؤسسة فندهورن وحركة «العصر الجديد».

(٤) انظر: The A to Z of New Age Movements-Michael York: (189-190), and New Age: A Guide-Daren Kemp: 36, and The New Age Cult-Walter Martin: 114: 114. The New Age Movement-Paul Heelas: 21.

(٨) «مؤامرة» الدلو (The Aquarian Conspiracy):

ولدت مارلين فرغسن في عام ١٩٣٨م، وهي كاتبة أميركية ومتحدثة مؤثرة تعتبر من أبرز الإصلاحيين بالنسبة لأتباع حركة «العصر الجديد». لـ فرغسن عدد من المؤلفات الفكرية إلا أن أشهرها على الإطلاق هو كتاب: «مؤامرة» الدلو (The Aquarian Conspiracy) الذي طبع في عام ١٩٨٠م^(١). فقد أثار هذا الكتاب جدلاً واسعاً في أتباع الكنيسة حيث كان عنوانه يوهم بوجود مؤامرة منظمة تحاك لنشر فكر «العصر الجديد» وإحلاله محل الدين التقليدي. إلا أن مارلين لم تقصد هذا المعنى بالتحديد، فكلمة: (Conspiracy) باللغة الإنجليزية تحمل أكثر من معنى؛ المعنى الأشهر الشائع هو: «المؤامرة»، والمعنى الآخر الذي لا يكاد يستخدم هو: «التنفس سوياً»، وهذا المعنى الأخير هو الذي أرادته في كتابها، حيث تتحدث فيه عن تحول شامل يقع على جميع المستويات: الشخصي، والروحاني، والاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي، والطبي، وغيرها، وهذا التغيير - المتوافق مع مبادئ الحركة وفلسفاتها - سيستحث قدوم «عصر الدلو». ففي عنوان الكتاب إشارة إلى تغيير متزامن، وإن لم يكن ثمة ارتباط محدد، أو تنسيق مسبق. ولكن - بلا شك - أن اختيار فرغسن لعنوان الكتاب أسهم في انتشاره، ولقت الأنظار إليه.

وقد توفيت فرغسن في عام ٢٠٠٨م^(٢).

عندما نتأمل ما سبق من المراحل التي مرت بها حركة «العصر الجديد» في طور نشأتها ندرك أنها حركة معقدة ذات أبعاد متعددة، ويمكن اعتبارها صورة جديدة لبعض الحركات التي سبقتها - أو خليط منها. إلا أن ما يميز حركة «العصر الجديد» عن سابقتها - ويجعلها أكثر خطورة - هو ملامستها لاحتياجات العوام، واستهدافها لجميع طبقات المجتمع. ولذلك يمكن القول بأن حركة «العصر الجديد» تعبير عن المرحلة الانتقالية التي مرت بها الروحية، والثيوصوفي، و«الفكر الجديد»، وحركة القدرات البشرية الكامنة، وغيرها من

(١) انظر: The A to Z of New Age Movements-Michael York: 73, and New Age and Neopagan Religions in America-Sarah Pkie: 147.

(٢) انظر: صحيفة ال نيويورك تايمز، نوفمبر ٥، ٢٠٠٨م.

حركات استسرارية ذات خصوصية وانعزال، إلى فكر خبيث يغزو المجتمع على جميع مستوياته.

من أبرز الشخصيات المعاصرة لحركة «العصر الجديد»:

لقد ذكر فيما سبق عدد من الشخصيات القيادية في حركة «العصر الجديد» ممن سبقوا ظهورها الفعلي، إلا أن للحركة أعلاماً ظهوروا في المراحل المتأخرة، وفيما يلي تعريف بأبرزهم:

○ جي زي نايت (J.Z Knight):

ولدت جي زي نايت في عام ١٩٤٦م في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي رمز من أشهر رموز «العصر الجديد»، اشتهرت بشخصيتها الجذابة والمثيرة للجدل، إلى جانب وساطتها لـ «روح» اسمه رامثا، تزعم أن عمره يزيد على ٣٥,٠٠٠ سنة.

لقد كان أول اتصال مزعوم بين رامثا وجي زي في عام ١٩٧٧م، ويصف نفسه - على لسان جي زي - بأنه مقاتل ليموري في أطلانتس^(١)، عاش لاحقاً كإله هندوسي! كما يبرر اختياره لـ جي زي نايت بأنها تجسيد معاصر لابنته (عن طريق التناسخ).

أنشأت نايت مدرسة رامثا للاستنارة في عام ١٩٨٨م، وهي تترأس عدداً من المؤسسات المتعلقة، وتتلقى مبالغ هائلة مقابل حضور محاضرات «رامثا»، تصل إلى ١٥٠٠ دولار للشخص الواحد في حلقات دراسية تقام في عطلة نهاية الأسبوع!

ومن الفلسفات التي يروج لها «رامثا» من خلال جي زي ما يلي:

(١) ذكرت بلافاتسكي في كتابها: «العقيدة السرية» بأن التاريخ البشري قد مر بعدة مراحل من الأعراق البشرية، وتشكل ليموريا المرتبة الثالثة التي انقرضت بظهور الحضارة التالية لها. أطلانتس: هي جزيرة ذكرها أفلاطون في حواراته، إلا أنه لم يقدّم دليل على وجود حقيقي لها، وهي تمثل وطن العرق الرابع للبشرية عند بلافاتسكي. أما البشر الذين يقطنون الأرض اليوم فهم من العرق الخامس.

انظر: New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: (31, 138), and The A to Z of New Age Movements-Michael York: (26-27).

- ١ - أن العالم عبارة عن صورة مكثفة من الوجود الإلهي، ولا وجود لإله مباين للمخلوقات.
- ٢ - أن الإنسان يمثل شرارة إلهية ساقطة، أصبحت الآن محبوسة في المادة.
- ٣ - ومبدأ مقتبس من «الفكر الجديد»: أن الواقع يخلقه الفكر^(١).

○ بنجمن كريم (Benjamin Crème):

هو فنان وكاتب سكوتلندي، وأحد معلمي حركة «العصر الجديد» الذين يتبعون تعاليم مدام بلافاتسكي وألس بيلي. ادعى في عام ١٩٥٩م أنه بدأ يسمع أصواتاً في داخله تنبئه بقرب ظهور الـ «مايتريا» (Maitreya)^(٢)، قائد «الأخوة البيضاء العظيمة»، فأخذ كريم على عاتقه إعداد العالم لقدمه، حتى قرر الـ «مايتريا» أنه سيظهر بشكل مجسم ليزور الأرض، فأصبح كريم يلقي الكلمات حول «عودة المسيح».

لقد كان السابع من أيلول ١٩٧٧م هو التاريخ الذي زعم بنجمن كريم أن الجسد الذي سيحمل الـ «مايتريا» قد أُعيد، وبعده بدأ الـ «مايتريا» بالانحدار من مقره الروحي في جبال الهملايا. ورغم أن بنجمن كريم كان يخبر أن الـ «مايتريا» سيظهر للعالم في عام ١٩٨٢م فإن ذلك لم يحدث، وهو لا يزال يدعي أنه سيظهر قريباً، وسيلقي خطبة عبر وسائل الإعلام يفهمها الناس كلهم على اختلاف لغاتهم^(٣).

(١) انظر: The New Age: Notes of Fringe Watcher-Martin Gardner: (195-205), and The A to Z of New Age Movements-Michael York: (105-106), and Confronting the New Age-Douglas Groothuis: 28, and Another Gospel-Ruth Tucker: 326.

(٢) مايتريا: التجسيد المستقبلي للبوذا، وهو الكائن الذي يمتنع بإراداته عن الدخول في النيرفانا (الاتحاد بالمطلق والخلوص من التناسخ) كنوع من التضحية لإنقاذ البشرية.

انظر: New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 146. The A to Z of New Age Movements-Michael York: 113.

(٣) انظر: The Hidden Dangers of the Rainbow-Constance Cumbe: 22, and The A to Z of New Age Movements-Michael York: (57-58). Perspectives on the New Age-Irvang Hexham: 152, and Christian Responses to the New Age Movement-Jon Saliaba: 21, and Another Gospel-Ruth Tucker: 336.

○ ديباك شوبرا (Deepak Chopra):

هو طبيب أميركي من أصل هندي وكاتب ذو شعبية في حركة «العصر الجديد». تتلمذ على يد مهاريشي يوجي^(١) في التأمل التجاوزي، وترقى سريعاً إلى مراتب عالية، ولكن شوبرا ترك المؤسسة بعد أن رأى مهاريشي أنه - أي: شوبرا - يشكل منافساً لسلطته.

أسس ديباك (مركز شوبرا للصحة العامة) في ولاية كاليفورنيا، وبقي مخلصاً لجذوره الدينية يدمجها في تعاليمه الحديثة، حيث يجعل شوبرا منشأ الشفاء والمرض في الفكر، فالوجود الجسماني - حسب رأيه - مخلوق لـ «الوعي»، معتمداً في رأيه على فلسفة الـ أيورفيدا الهندوسية^(٢). لقد واجه ديباك شوبرا انتقاداً واسعاً من الأوساط العلمية لإقحامه آراء فلسفية غير ثابتة في العلوم الطبية التجريبية، وإلحاقه إلى النظريات الكمية في العملية العلاجية، وتفسيرها تفسيراً فلسفياً باطنياً^(٣)، إلا أن ذلك لم يؤثر على شعبيته بين أنصار حركة «العصر الجديد»، ففي عام ١٩٩٩م أعلنته مجلة تايم الأميركية أحد أبرز مائة رمز وبطل في القرن العشرين، وأسّمته نبي الطب البديل^(٤)! وفي عام ٢٠٠٦م أنشأ شوبرا شركة تنتج قصصاً مصورة تعيد إحياء الثقافة الشرقية والرموز الباطنية في نفوس الشباب وتعمل على نشرها في أنحاء العالم^(٥).

عمل في التدريس بعدد من كليات الطب في الجامعات الأميركية عدة

(١) مهاريشي يوجي: لا يُعرف الكثير عن المراحل المبكرة من حياة مهاريشي، ولكن أكثر المصادر تشير إلى أنه راهب هندوسي ولد في عام ١٩١١م. وبعد أن توفي معلمه غورو ديف عام ١٩٥٢م دخل مهاريشي في عزلة تامة لمدة عامين، قام بعدها بتنظيم حركة تقوم بنشر التأمل التجاوزي في أنحاء العالم. واجتهد في نشر اعتقاداته إلى أن استطاع أن ينشئ مراكز التأمل التجاوزي في أنحاء متعددة من أوروبا وأمريكا. وما زال مهاريشي حياً عاملاً.

انظر: Philosophers and Religious Leaders-edited by: Christian D. Von Dehsen: 120, and Transcendental Meditation, Relaxation of Religion - Ronald L. Carison: (14-16).

(٢) انظر: Perspectives on the New Age-Catherine L. Albanese: (76-77), and The A to Z of New Age Movements-Michael York: (45-46), and The New Age Movement-Paul Heelas: 67, and New Age A Guide-Daren Kemp: 132.

(٣) انظر: The Skeptics Dictionary-Robert Todd Carroll: 45.

(٤) انظر: Time Magazine-issue: June 14, 1999.

(٥) تصفح: www.liquidcomics.com

سنوات قبل استقلاله بالعمل في عيادة خاصة، وله عدد كبير من المؤلفات والبرامج التي لا يزال يث من خلالها فكره وآراءه^(١).

يُصرِّح شوبرا في مواضع متعددة من كتاباته ومقاطعته المرئية بأن الإنسان هو «الإله»، وقد أصبحت شهرته وشعبيته تتزايد - وللأسف - في البلدان العربية، وفي الخليج العربي على وجه الخصوص. فهناك مجموعات تعمل على خدمة وترجمة محاضراته ولقاءاته ونشرها عبر مواقع شهيرة على الشبكة العالمية، بل إنه قد تمت استضافته للإلقاء في كل من البحرين والإمارات في شهر فبراير وشهر سبتمبر من عام ٢٠١٣ م، وظهر احتفاء كثير من المعجبين به وفكره الفلسفي المنحرف^(٢).

○ إكهارت تولي (Echhart Tolle):

ولد إكهارت تولي في عام ١٩٤٨م في ألمانيا، ثم انتقل إلى أسبانيا وعمره ثلاث عشرة سنة، وقد عاش أكثر شبابه يصارع الاكتئاب الحاد. ولما أتم تسعة وعشرين عاماً أصيب بنوبة شديدة من الاكتئاب دفعته إلى التفكير في ذاته، وما تعانیه من آلام، حتى توصل إلى إنكار تلك الذات، ثم زعم أنه عاش بعدها في سعادة وسلام حيث لم يعد له وجود ليحس بالألم، فهو مجرد مراقب. أصبح إكهارت يقضي أوقاتاً طويلة يراقب الناس في شوارع لندن، وفي المعابد البوذية، ويبيت في المنتزهات الخارجية، حتى وصفه أهله بالجنون.

مرت الأيام سريعاً، حتى أصبح الرجل التائه الضعيف معلماً روحانياً يقصده الناس من شتى بقاع الأرض. وفي عام ١٩٩٥م انتقل إكهارت تولي إلى الولايات المتحدة، وهناك ألَّف كتابه الأول: (قوة اللحظة) أو (قوة الآن) (The Power of Now) والذي ترجم إلى أربع وثلاثين لغة منها العربية. يبين تولي في هذا الكتاب توجهاته الفلسفية، فيتحدث عن التعاليم الروحية التي تتجاوز الزمان، وتمثل حقيقة كل الأديان، وقد أشار إلى الديانات الشرقية والتصوف وإلى كتاب

(١) انظر: The New Age Movement and Biblical Wordview-John Newport: (344-349), and The A to Z of New Age Movements-Michael York: (45-46).

(٢) وقد صرَّح صلاح الراشد في حسابه الخاص على تويتر بأن ديباك هو «أفضل مفرد روحاني» وبأنه «مُعلمه»، كما أخبر بأنه يتعاون معه في مشاريع تنويرية مشتركة.

«دورة المعجزات»^(١).

يملك تولي شركة توفر اللوازم «الروحانية»، كما أسس موقعاً على الشبكة العالمية يث دروسه، وجلسات تأمل أسبوعية^(٢).

وقد بات عدد من «المدرّبين» في الخليج يكثرون من الاستشهاد بأقواله الفلسفية، ويحيلون إلى قراءة كتبه التي تغص بالتعاليم الباطنية، والفلسفات الكفرية، كالقول بوحدة الوجود، وتأليه الذات. كما يعمل بعض معجبيه على ترجمة محاضراته ونشرها - مع محاضرات ديباك - على شبكة الإنترنت.

(١) انظر: The Power of Now: A Guide to Spiritual Enlightenment-Eckhart Tolle.

(٢) www.eckharttolle.com

الفصل الثاني

أبرز مصادر الأفكار والعقائد الباطنية التي تتبناها حركة «العصر الجديد»، والفلسفات الممهدة لظهورها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أبرز مصادر العقائد الباطنية لحركة «العصر الجديد».

المبحث الثاني: الفلسفات الغربية الممهدة لموقف حركة «العصر الجديد» من الأخلاق والقيم والحقائق.

المبحث الأول

أبرز مصادر العقائد الباطنية لحركة «العصر الجديد»

تعتبر حركة «العصر الجديد» حركة انتقائية تلفيقية^(١)، بمعنى أنها تنتقي مبادئها ومعتقداتها من مصادر متعددة ثم تجمعها في سياق واحد، فتكون النتيجة مجموعة من العقائد الملفقة. وعند مقارنة تلك المصادر المتفرقة نجد أنها متباينة جغرافياً، ودينياً، وزمنياً، لا يكاد يربط بينها رابط، ولكن بعد التدقيق والنظر يجد الباحث أن ثمة توجهاً ضمناً مشتركاً في تلك المصادر يربط بينها جميعاً: وهو التوجه الاستسراري الباطني.

فعندما يقول بعض الباحثين الغربيين: إن الهندوسية والإسلام - مثلاً - من المصادر العقدية لحركة «العصر الجديد»، يحتار القارئ كيف يجمع بين الحق والباطل؟ وكيف يكون التوحيد الخالص والوثنية الممقوتة شريكين في تغذية هذه النبتة الخبيثة؟ ولكن عندما يُعلم أن هؤلاء قد يعبرون بـ«الإسلام» عن الفكر الصوفي المغالي المنتسب إلى الإسلام - زوراً - تتضح أوجه الشبه بين المصدرين. تُشكّل مصادر حركة «العصر الجديد» خارطة عجيبة؛ تمتد من صحاري

مصر إلى أرض اليونان، ومن جبال الهند إلى الصين وسيبيريا وأميركا الجنوبية. ومع هذه المصادر التي تعتبر خارجية كان هناك عوامل أخرى داخلية مهدت لتقبل تلك المعتقدات الوافدة، فاجتمعت العوامل الخارجية المؤثرة والعوامل الداخلية الممهدة ليتشكّل من مجموعهما فكر الحركة.

أما المصادر الخارجية فسيتم تناول أبرزها في المبحث الأول من هذا الفصل، وهي:

- الديانات الوثنية القديمة، متمثلة في الهندوسية، والطاوية، والبوذية، بالإضافة إلى الديانة المصرية القديمة.
- الاتجاهات الباطنية في الفلسفة اليونانية.
- الغنوصية النصرانية والـ كبالا اليهودية.
- التصوف «الإسلامي».
- الديانات الوثنية الحديثة، متمثلة بالشامانية الحديثة، والويكا، والدرويدية، وقد أدرجتها ضمن المصادر الخارجية باعتبار أصلها.
- أما العوامل الممهدة لتقبل الفكر الوافد والتأسيس له - خاصة ما له تعلق بالحقائق والأخلاق، فهو ما سيتم استعراضه في المبحث الثاني.

المطلب الأول

الديانات الوثنية القديمة

يمكن تتبع الجذور الباطنية للتيارات الغربية - على وجه العموم - وأفكارها حول الإله، والإنسان، والكون، إلى أصول ضاربة في القدم، كثيراً منها يرجع إلى الديانات الشرقية^(١). وقد استقت حركة «العصر الجديد» - على وجه الخصوص - كثير من آرائها الفلسفية من المعتقدات الهندوسية^(٢)،

(١) انظر: The Western Esoteric Traditions-Nicholas Clark: 15.

(٢) انظر: Evangilizing in the New Age-Paul McGuire: 39 and Catholics and the New Age-Mitch Pacwa: 17, 31. The New Age Movement-Ron Rhodes: 28, and An Overview of the New Age Movement-William Reck: 5, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 123, and Encyclopedia of New Age Beliefs-Ankerberg & Weldon: 215, and New Age and

والبوذية^(١)، والطاوية^(٢)، وكذلك من الديانة المصرية القديمة^(٣).

فالفلسفات الشرقية التي تروج لها حركة «العصر الجديد» لا يمكن أن تعتبر من ابتداع الحركة، وإن كانت قد تحمل طابعاً جديداً نوعاً ما عندما تُنشر في المجتمع الغربي^(٤)، فهي تُقدم بصور أميركية مبسطة، وتُزخرف بالمصطلحات العلمية الموهمة^(٥).

ومن أهم المصادر الفلسفية لحركة «العصر الجديد» - إن لم تكن أهمها على الإطلاق - هي الديانة الهندوسية.

أولاً: الهندوسية:

تطلق «الهندوسية» على الديانة التي تعتنقها الغالبية العظمى من سكان بلاد الهند، وترجع أصولها إلى ما يزيد على الألفي عام قبل الميلاد. وهي مصطلح فضفاض يضم أكثر من مذهب فلسفي ومدرسة فكرية، كما تندرج تحته العديد من الممارسات الدينية والطقوس التعبدية المتباينة. ولا يمكن للباحث أن يحدد زمناً دقيقاً لنشأة الهندوسية، فضلاً عن محاولة إرجاعها إلى فرد، أو أفراد أحدثوها، أو قاموا بكتابة نصوصها المقدسة. فالهندوسية هي مزيج من الثقافات والعقائد المتعددة التي تطورت مع مرور الزمان^(٦).

Neo-Pagan Religions in America-Sarah M.Pike: 14.

(١) انظر: Evangelizing in the New Age-Paul McGuire: 39, and Catholics and the New Age-Mitch Pacwa: 17, and An Overview of the New Age Movement-William Reck: 5, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 41, and New Age and Neo-Pagan Religions in America-Sarah m. Pike: 14.

(٢) انظر: Catholics and the New Age-Mitch Pacwa: 11, and New Age Encyclopedia-Belinda Withworth: 209, and Encyclopedia of New Age Beliefs-Ankerberg & Weldon: 354, and New Age and Neo-Pagan Religions in America-Sarah M. Pike: 14.

(٣) انظر: New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 95, and New Age and Neo-Pagan Religions in America-Sarah m. Pkie: 14, and Perspectives on the New Age-Robert Ellwood: 59.

(٤) انظر: The New Age Movement-Paul Heelas: 55.

(٥) انظر: Catholics and the New Age-Mitch Pakwa: 17.

(٦) انظر: أديان الهند الكبرى: د. أحمد شلبي ص ٤٣ - ٤٤، ودراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند: د. محمد ضياء الدين الأعظمي ص ٥٢٨ - ٥٢٩.

تفتقر الديانة الهندوسية إلى المرجعية الموحدة وإلى ما يمكن تسميته بالعقيدة المركزية، رغم اتفاق كافة الاتجاهات على قدسية كتب الـ فيدات. ولكن هذا الاتفاق على القدسية لا يعني الاتفاق في تفسيرها، ولا على ما يصح اعتماده من النصوص الأخرى^(١). ويبقى هناك اتجاهان رئيسان هما الأظهر بين الهندوس:

○ الاتجاه الوثني التعددي:

وهو يحمل الطابع الشرقي المعروف، حيث يعبد عوام الهندوس عدداً من الآلهة، إلهاً لكل ظاهرة طبيعية، ويقدمون لها القرابين، وهم بذلك يأخذون بظواهر النصوص الهندوسية^(٢).

○ الاتجاه الفلسفي القائل بوحدة الوجود:

وهذا الاتجاه ربما يكون خاصاً بالكهان، أو بالطبقات المثقفة ورجال الدين حيث يصعب فهم إشاراته الفلسفية المعقدة على البسطاء الذين لا يتقن كثير منهم حتى القراءة والكتابة. وهو لا يتعارض مع الاتجاه الأول - بل يجعل الآلهة المتعددة ليست سوى صور للوجود المطلق^(٣) الموحّد، فلا ضير من توجيه العبادة لمئات الآلهة من دون الـ براهمان^(٤).

وهذا الاتجاه الأخير هو الذي انتقل إلى العالم الغربي من خلال أتباعه البارزين أمثال سوامي فيفيكاناندا (Swami Vivekananda)، والذي كان له أثر كبير في الترويج لهذا الفكر هناك^(٥).

إن عدداً من العقائد التي تتبناها حركة «العصر الجديد» ترجع في أصلها

(١) انظر: أديان الهند الكبرى: د. أحمد شليبي ص ٨٠.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٣٣ - ٣٦.

(٣) المطلق: هو ما يدل على واحد غير معين، وهو المتعري عن الصفة والشرط والاستثناء.

انظر: كتاب التعريفات: الجرجاني ص ٢١٨، والكلبيات: أبو البقاء الكفوي ص ٨٤٨.

(٤) انظر: An Overview on the New Age Movement-William Reck: 5, and New Age

Encyclopedia-Belinda Whitworth: (123-126), and Catholics and the New Age-Mitch

Pakwa: (32-39). New Age and New-Pagan Religions-Sarah m. Pike: 15.

(٥) انظر: الأديان الحية ص ٤٠ - ٤١، أديب صعب و Hinduism-Luis Renou: 45

إلى الديانة الهندوسية، وقد تشكلت نظرة الحركة للإله والكون والإنسان بناء عليها^(١)، كما استقت الكثير من ممارساتها وتطبيقاتها التأملية من الطقوس الهندوسية مباشرة^(٢)، ومن أبرز تلك العقائد ما يلي:

(١) الـ براهمان (Brahman) ووحدة الوجود: لا يعطي «حكماء» الهندوس أي نوع من التعريف للـ براهمان، وإنما يحيل كثير منهم التلاميذ إلى بعض الممارسات العملية؛ ليتعرفوا عليه من خلالها ويتوصلوا إليه بـ«التجربة»، وكان غاية وصفهم له بالسلب؛ فلا سبيل إلى رؤيته، أو سماعه، أو إدراكه بأي من الحواس، إذ هو خال من الصفات^(٣). فالـ براهمان هو المطلق الفرد الذي يرتكز عليه الوجود كله، وهو المبدأ الكوني المطلق الذي يظهر للبشر بشكل الكون الذي يرونه من حولهم^(٤). ولعل أوضح تعريف يمكن تحديده للـ براهمان هو أنه الوجود المطلق الذي يتجلى من خلال تجسيدات، فكل شيء في الوجود ليس إلا صورة من صور الـ براهمان.

(٢) قانون الجزاء^(٥) الـ كارما (Karma)، وتناسخ الأرواح الـ سمسارا (Samsara): تعد الـ كارما والـ سمسارا من أبرز العقائد الهندوسية، ورغم سذاجة الفكرة التي تركز عليها هذه العقيدة إلا أنها شكلت محل جذب لهواة فلسفات الشرق من أبناء الغرب.

تُعرّف الـ كارما بأنها حصيلة ما يقوم به الإنسان من أعمال، وما يحدثه من سلوكيات وتأثيرات في المجتمعات، ثم ما يترتب على هذه الأعمال من آثار في

(١) انظر: Evangelizing in the New Age-Paul McGuire: 39, Catholics and the New Age-Mitch Pacwa: 17, 31. The New Age Movement-Ron Rhodes: 28, and An Overview of the New Age Movement-William Reck: 5, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 123, and New Age and Neo-Pagan Religions in America-Sarah M. Pike: 14 and Encyclopedia of New Age Beliefs-Ankerberg & Weldon: 215.

(٢) انظر: Another Gospel-Ruth A. Tucker: 267.

(٣) انظر: الفكر الشرقي القديم: جون كولر ص ٥٥.

(٤) انظر: Hinduism-Cybelle Shattuck: 27.

(٥) يطلق عليه أحياناً مبدأ السبب والمسبب أو العلة والمعلول. وحيث إن العلاقة بين الفعل الأصلي وبين نتيجته في الحياة الأخرى هي علاقة جزائية مبنية على الثواب والعقاب، رأيت التعبير به أدق من التعبير بالسببية العامة.

مجرى حياته الحالية والمستقبلية. ويتم إنفاذ الثواب والعقاب عن طريق الـ سمسارا^(١) أو تناسخ الأرواح. و«التناسخ» هو أن تعود النفس [بعد موتها] إلى جسم آخر لأنها لم تُشبع في الأول سائر أعمالها، ولأنها لم تؤد واجباتها، ولم تتمتع بشمرة النشاطات التي نفذتها في الحيات^(٢) الأوائل. متى أُشبع كل الرغبات، وأدّت النفس كل ما عليها بلا آثام تسقط ضرورة التناسخ، وعندها تنجو النفس^(٣)، وتحرر من التناسخ لتحقيق الانعتاق الكامل، أو ما يسمى بالـ موكشا.

ولعل استحداث هذه الأفكار كان من أجل تفسير التفاوت الملحوظ بين الناس في الرزق، والصحة، والسعادة، حيث انعدم النور الإلهي والبصيرة التي تنير لهم الدرب. أو أنها أوجدت من أجل إحداث نوع من الرقابة الذاتية تكف المرء عن إيذاء الآخرين، حيث غاب عن الفكر الهندوسي مفهوم الرقابة الإلهية، ومفهوم الثواب والعقاب الأخروي.

(٣) أهداف الحياة الأربعة: للحياة البشرية عند الهندوس أربعة أهداف، ينزع الإنسان إلى تحقيقها في «حيواته» المتتالية. وهذه الأهداف هي^(٤):

- ١ - المتعة أو اللذة (Kama)، وهو أدنى هذه الأهداف حيث يشترك في ابتغائها الإنسان والحيوان.
- ٢ - التملك (Artha)، ويقصد به السعي لتحصيل الرخاء المادي، من مال ومنصب وجاه. ويعد هدفاً نبيلاً ما دام ضمن أطر الأخلاقيات الفيدية.
- ٣ - اتباع النظام العام: دهارما (Dharma)، بمعنى «التقوى» أو «الصلاح». ويُقصد به الأخلاق، والواجبات، والالتزامات الفردية، أو «الفضيلة» بشكل عام. والذين يعيشون في انسجام مع «دهارما» يحققون الانطلاق

(١) انظر: الفلسفة في الهند: د. علي زيعور ص ١٣٢، وتحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة: البيروني ص ٣٨ - ٣٩.

(٢) كذا في الأصل، ولست أعلم إن كان يصح الجمع، غير أنه لا يوجد لفظ غيره يؤدي ذات المعنى.

(٣) الفلسفة في الهند: د. علي زيعور ص ١٣٣ - ١٣٤.

(٤) انظر: الأديان الحية: أديب صعب ص ٣٥، والفكر الشرقي القديم: جون كولر ص ٧٢ - ٧٧.

ومن ثم التوحد بالمطلق بشكل أسرع. وفي الفلسفة الهندوسية تندرج كل المبادئ التي تحكم العالم والإنسان تحت هذا النظام العام^(١).

٤ - التحرر والانطلاق: (Moksha) تعد الـ موكشا الغاية الأساسية من جميع أشكال البحث الديني والفلسفي في الهند، وتعني: «التحرر الروحاني، وهي هدف كل الموجودات التي يمكنها الوصول إلى التحرر الروحاني الأخير من استرقاق عالم الـ سمسارا»^(٢) وتكرر الولادات، مع ما يصاحبها من منغصات وأكدار كالمرض والفقر والهزم والألم والموت. ويفسر هذا التحرر بأنه الذوبان التام للذاتي «أتمان»^(٣) بالكلّي^(٤) «براهمان»، حيث يفنى الأول في الثاني ويندمج فيه كما تندمج قطرة ماء بالمحيط العظيم^(٥). والوسيلة الهندوسية لتحقيق ذلك هي أنواع الـ يوغا (Yoga)^(٦).

(٤) الطقوس الهندوسية: وهي ذات تعلق ظاهر بالمعتقدات ونابعة عنها - خاصة عقيدة الاتحاد ووحدة الوجود. فالسالك الهندوسي يسعى إلى تحصيل الخلاص من دوامة التناسخ وتكرار الولادات من خلال الاتحاد بالكائن المطلق

(١) الفكر الشرقي: د. بونج كيم ص ٣١، والفلسفة في الهند: علي زيعور ص ١٣٤.

(٢) الفكر الشرقي: د. بونج كيم ص ٣٧ - ٣٩.

(٣) أتمان (Atman): تقرر الهندوسية أن لكل كائن حي روحاً تسمى «أتمان»، والغاية النهائية للإنسان هي اتحاد الـ أتمان بـ البراهمان ولكن ذلك قد لا يتحقق من خلال فترة عمرية واحدة، وإنما بحيوات متكررة، أو ما يعرف بالتناسخ المحكوم بقانون الـ كارما. علماً أن الـ براهمان موجود في أعماق الـ أتمان حسب معتقدتهم. انظر: Evangelizing the New Age-Paul McGuire: (39-41), and An Overview on the New Age Movement-William Reck: 5, and Catholics and the New Age-Mitch Pakwa: (32-39). New Age and Neo-Pagan Religions-Sarah M. Pike: 15.

(٤) الكلّي: ما لا يمنع نفس تصوره من وقوع الشركة فيه، والمقصود هنا الكلّي الذي هو كل شيء.

انظر: التعريفات: الجرجاني ص ١٨٦.

(٥) انظر: الأديان الحية: أديب صعب ص ٣٤، وتحقيق ما للهند من مقولة: البيروني ص ٥١، والفكر الشرقي: د. بونج كيم ص ٣٧ - ٣٩.

(٦) انظر: الفكر الشرقي: د. بونج كيم ص ٤٥ - ٤٩، والفكر الشرقي القديم: جون كولر ص ١٠٠، وتحقيق ما للهند من مقولة، البيروني ص ٥٨.

والذوبان فيه، ويتحقق ذلك بممارسة عدد من الطقوس كاليوغا والتأمل والصوم وتكرار الصيغ المقدسة أو الـ «مانترا» (mantra)^(١).

تأثرت حركة «العصر الجديد» بالهندوسية بشكل ظاهر وصريح، فهي تهدف إلى تحقيق «الاستنارة» التي تعني إدراك الحقيقة الإلهية للنفس البشرية ووحدة الوجود، مستنديين في ذلك على الفلسفات الهندوسية ومستعنيين بالوسائل ذاتها لتحقيق هذا الهدف. وقد اقتبست منها الاعتقاد بالتناسخ مع اختلاف يسير عند الحركة^(٢)، كما تتفق العقائد الهندوسية مع نظرة حركة «العصر الجديد» للإله والكون والبشرية والخلاص^(٣).

ثانياً: الطاوية:

الطاوية هي فلسفة وديانة صينية شعبية قديمة، تشكلت عبر مراحل مطولة، وخضعت لعملية إدماج مستمر للعديد من التسلسلات الفكرية القديمة والعناصر الخارجية^(٤). يعد لاوتزي (Laozi)^(٥) مؤسس الطاوية عند كثير من الباحثين، وإن كان

(١) انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي ص ٦٠٣ - ٦٠٤، و. Hinduism-Cybelle Shattuck: (75-76), and Hinduism-Luis Reno: (31-33).
المانترا: الصيغ المقدسة التي تتلى في الصلوات، وتكرر بأعداد غير محددة. تتكون المانترا من مقطع صوتي أو أكثر يصل إلى مائة مقطع، بعض هذه المقاطع بلا معنى ظاهر وبعضها مجرد ترديد لأسماء الآلهة. ومن أشهر هذه المانترات على الإطلاق هو: (أوم) (aum)، ويمثل الصوت البدائي الذي يُعتقد أن الكون خلق بواسطته.
انظر: المراجع السابقة.

(٢) انظر: Catholics and the New Age-Mitch Pakwa: (32-39), New Age and Neo-Pagan Religions-Sarah M. Pike: 15.

(٣) انظر: New Age Movement-Ron Rhodes: 28.

(٤) انظر: Taoism: the Growth of a Religion-Isabelle Robinete: 1.

(٥) لاوتزي: مؤسس الطاوية، ولد في عام ٦٠٤ ق.م، ونشأ في بيت فقير ببلدة في الصين الوسطى. عمل لاوتزي أميناً للمكتبة الملكية، فاطلع على الظروف الصعبة التي مرت بها المجتمعات الصينية في تاريخها، مما أسهم في تكوين رؤيته للخلاص، حيث قرر أنه لا يمكن أن يتحقق بالإصلاح، وإنما يكون بالعزلة. يُنسب إليه كتاب: «الطاو طي جنغ» الذي دوّنت فيه أفكاره الفلسفية. ولا يعلم بعد ذلك شيء عن حياته، إلا ما ذكر عن عيشه في العزلة إلى أن توفي وعمره تسعون عاماً في عام ٥١٧ ق.م. انظر:
الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة: د. عمر عبد الحي ص ٦٩، ٧٢، والفلسفة الشرقية: محمد غلاب ص ٢٣٢ - ٢٣٥، والأديان الحية: أديب صعب ص ٧٥.

بعضهم يرى أنه شخصية أسطورية ليس لها واقع في التاريخ. تهتم الطاوية بالطبيعة وتشارك مع الديانات الصينية المحلية في كثير من المبادئ الفلسفية، مما جعل دخول تلك الديانات ذات الصفات المشتركة تحت المسمى العام للطاوية أمراً شائعاً^(١).

تحاط كثير من التعاليم الطاوية بالغموض، ويحرص أتباعها على السرية التامة حيث لا تُفشى أسرارها إلا لخواص الأتباع. هذه السرية تجعل من الصعب جداً التوصل إلى مفهوم محدد لما يصح تسميته بـ الطاوية^(٢).

وبالرغم مما سبق، إلا أن الطاوية تحمل بعض المعالم التي تميزها عن غيرها، وتجعلها فلسفة وديناً مستقلاً. وفيما يلي عرض لأهم مبادئ الفلسفة الطاوية، وأبرز معتقداتها:

(١) الـ طاو (Dao/Tao): تركز الفلسفة الطاوية على مبدأ الـ طاو الأبدي، وإليه تنسب. وهو عامل مشترك في كثير من الفلسفات الصينية المحلية، فكلمة الـ طاو كلمة شائعة الاستعمال، وتعني في لغتهم: الطريق، أو الطريقة، أو السبيل، أو الصراط، أو النهج^(٣)، وإن كان - في التراث الصيني - يختلف معناها من مفكر لآخر^(٤). «ومما تجدر الإشارة إليه، هو أن فكرة الـ طاو كانت معروفة في الصين قبل لاوتزي، بيد أنها لم تكن تحوي ذاك البعد الفلسفي العميق الذي أضافه إليها»^(٥).

يفتح لاوتزي كتاب الـ طاو طي جنغ بالعبارة التالية:

«الـ طاو الذي يمكن التعبير عنه

ليس هو الـ طاو الأبدي

الاسم الذي يمكن تسميته

ليس هو الاسم الأبدي

(١) انظر: Chinese Religions-Julia Ching: 85.

(٢) انظر: Chinese Religions-Julia Ching: 85, and Tacism-Isabelle Robinete: 4.

(٣) انظر: الفلسفة الشرقية: محمد غلاب ص ٢٢٤، وكتاب التاو: ترجمة وتقديم: هادي العلوي ص ١١، والفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة: د. عمر عبد الحي ص ٦٧.

(٤) انظر: Chinese Religions-Julia Ching: 91.

(٥) الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة: د. عمر عبد الحي ص ٦٧.

هذا الذي بلا اسم، كان مبدأ السماوات والأرض
والمسمى كان أمّا لآلاف المخلوقات»^(١).

إن وصف الـ طاو بأنه «شيء» - في نظر الفكر الصيني - يعني: تحديد مكان له في الكون. وهذا ليس بممكن مع الـ طاو فهو يتخلل كل شيء ويشمله. ولا يُخفي لا وتزي - وهو الأب الروحي لهذه الفلسفة - حيرته أمام هذا المطلق الغريب، فيصفه بأنه: «غامض.. محير.. غير واضح.. مخفي.. مظلم»^(٢).

ويقول في موضع آخر:

«الـ طاو لا سبيل إلى تعريفه قط!

وهو من الصغر في حالة الـ لا تشكل بحيث يتعذر الإمساك به»^(٣).

ولكنه لا يستسلم لهذه الحيرة، فيعطي الـ طاو وصفاً عاماً لا يزيد المبدأ الغامض إلا غموضاً، فيقول:

«كان هناك شيء غير واضح.

ولد قبل السماوات والأرض

صامت، فارغ

وحيد، لا يتغير

دائم الحركة، لا يُنهك

قد يكون أمّا لما تحت السماء

أنا لا أعرف اسمه، ولكنني أسميه الـ طاو»^(٤).

أما شوانغ تزي^(٥)، معلم الطاوية الثاني، فقد قرر بأن الـ طاو في كل

(١) The tao Te Ching: A New Translation with Commentary-Ellen M. Chen: 51, and Tao Te Ching-translated by: David Hinton: 3.

(٢) Tao Te Ching-translated by: David Hinton: 24.

(٣) كتاب التاو: هادي العلوي ص ٧١.

(٤) The Tao Te Ching-Ellen M. Chen: 116.

(٥) شوانغ تزي: الرجل الثاني في الفلسفة الطاوية، ولد في ولاية سونغ عام ٣٦٩ ق.م، ولجأ إلى العزلة، والتنسك، والتأمل في أسرار الكون والوجود. قامت فلسفة شوانغ تزي على أساس مبدأ وحدة الإنسان مع الطاو حيث يرى فيها تحقيق الحرية الفردية المؤدية إلى التحرر الكامل من قيود الحياة المادية. توفي عام ٢٨٦ ق.م.

مكان، فلا يخلو منه مكان. وعندما تُطلب منه التحديد أكثر، قال:

«أنه هنا في النمل.. في حشائش الأرض..

في الآجر والقرميد.. وفي البول والعذرة أيضاً»^(١).

وعليه، فالطاو لا يمكن أن يكون مرادفاً للإله. وهو لا يحمل بعداً روحانياً، ولا صفات إلهية، فالطاوي لا يتعامل مع الألوهية. ولم يكن المؤسس الأول ولا تلامذته المشهورين يقرون بخالق مُوحد للمخلوقات بعلم وإرادة، فالطاو عندهم فاعل بلا إرادة، بل إن شوانغ تزي يرفض إعطاءه صفة الفعل، رغم اضطراره لاستخدام العبارة المشعرة بذلك.

يشبه الـ طاو - إلى حد كبير - العقل الأول عند فلاسفة اليونان، وكذلك الـ براهمان عند الهندوس، كما أن فلسفة الطاوية في ابتداء الكون تشبه نظرية التسلسل الفيضي. فالـ طاو يولّد واحداً، ومن الواحد يتولد الاثنان ومن الاثنان الثلاثة، ومنها كل الموجودات^(٢). إن الـ طاو في الفلسفة الطاوية «داخل الوجود لا خارجه»^(٣)، وقد أنكرت بصراحة أن يكون للعالم صانع من خارجه. فهي - باختصار - صورة جليلة من صور وحدة الوجود، حيث الـ طاو الذي هو مبدأ الوجود حاضر في الكائنات، لا يفصله عنها مسافة في الزمان أو المكان.

رمز الـ ين والـ يانغ



رمز الـ ين والـ يانغ

(٢) فلسفة الـ ين يانغ (Yin-Yang): لقد مزج

لاوتزي مبدأ الـ ين يانغ ذا الأصول القديمة في الثقافة الشرقية مع فلسفته للـ طاو، خرج من خلاله بتفسير كلي للوجود. فاعتبر أن الـ طاو هو الواحد الأزلي الذي تولدت منه الثنائية المتمثلة بالـ ين يانغ، ومن هذه الثنائية تولد كل ما في الوجود.

«الـ طاو تنسل الواحد

= انظر: الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة: د. عمر عبد الحي ص ١٢٠ - ١٢٦، والفلسفة الشرقية: محمد غلاب ص ٢٤١ - ٢٤٤، والأديان الحية: أديب صعب ص ٧٧.

(١) The Complete Works of Chuang Tzu-translated by: Burton Watson: 18.

(٢) انظر: كتاب التاو: هادي العلوي ص ١١ - ٢٦.

(٣) تيارات الفلسفة الشرقية: محمد حسن ص ٥٨.

الواحد ينسل الاثنين

الاثنان ينسل الثلاثة

الثلاثة تنسل العشرة آلاف شيء

العشرة آلاف شيء تحمل الـ ين وتحتضن الـ يانغ

وتحقق انسجامها بالدمج بين هاتين القوتين»^(١).

(٣) الاتحاد والتنوير (الإشراق): يعد التوحد مع الـ طاو هو الهدف الرئيس

في الفلسفة الطاوية، حيث لا يمكن للإنسان أن يحقق السعادة والاستقرار النفسي إلا عن طريق هذه الوحدة. «وقوام الموقف الطاوي هو أن حيل البشر وأفاعيلهم تُفضي إلى الشر والتعاسة، ويتعين عليهم للعثور على السلام والرضا أن يتبعوا طريق الكون، أو طاو الكون، وأن يحققوا التوحد مع هذا الـ طاو»^(٢). يقول لاوتزي:

«من يتبع الـ طاو،

يكن واحداً مع الـ طاو..

متى ما تكون واحداً مع الـ طاو

يرحب بك الـ طاو»^(٣).

ومن أجل التوصل إلى هذا الهدف، يمر السالك بعدة مراحل:

- «تبدأ بمرحلة يخلو فيها الفرد إلى نفسه ويقطع كل صلة بينه وبين عالم الأشياء المحسوسة.
- وتتلو تلك مرحلة ثانية تقوم على الامتناع عن كل ما من شأنه تدنيس الروح، والحيلولة بينها وبين الوصول إلى الحقائق المجردة. وفي هذه المرحلة يتجرد الإنسان من الماديات، حتى يصير روحاً خالصة.
- وبعد ذلك تأتي مرحلة الرؤيا أو الإشراق، حيث يدرك الفرد - بزعمهم - الحقائق المجردة إدراكاً مباشراً لا وساطة فيه.

(١) كتاب التاو: هادي العلوي ص ٧٧.

(٢) الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي: د. جمال المرزوقي ص ٢٥٣.

(٣) كتاب التاو: هادي العلوي ص ٦٥.

○ وأخيراً، تأتي المرحلة النهائية؛ وهي الاتصال التام أو الوحدة التامة بين الفرد والقانون الأعظم^(١)، وهي المرحلة التي يحصل فيها اندماج تام بين المتصوف الطاوي والذات العليا^(٢)، بحيث يفني كل منهما في الآخر، ويصيران شيئاً واحداً^(٣).

وهذه العقائد كلها ظاهرة في تطبيقات حركة «العصر الجديد»^(٤)، بل إن الحديث عن الـ طاو والـ ين والـ يانغ أمر شائع جداً حتى في التطبيقات المنتشرة في العالم الإسلامي^(٥)، ولا يعلم أولئك أنهم إنما يروجون - في الحقيقة - للطاوية.

ثالثاً: البوذية:

تأسست البوذية على يد سدهارثا غاوتاما (Siddhartha Gautama) الشهير باسم «بوذا» (Buddha)^(٦) أو العارف المستنير، وإليه تُنسب. وهي إحدى الفلسفات الفكرية التي ظهرت في القرن السادس قبل الميلاد. كانت بداية نشأتها

(١) يراد بالقانون الأعظم هنا: الـ طاو.

(٢) ذيل الملل والنحل: محمد الكيلاني ص ٢٧ - ٢٨ بتصرف يسير.

(٣) انظر: المرجع السابق ص ٢٨.

(٤) انظر: Catholics and the New Age-Mitch Pacwa: 11, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth 209, and Encyclopedia of New Age Beliefs-Ankerberg & Weldon: 354, and New Age and Neo-Pagan Religions in America-Sarah M.Pike: 14.

(٥) أنواع العلاج بالطاقة، والريكي، ونظام الماكروبيوتك، وغيرها مما سيأتي الحديث عنه في ثانيا هذا البحث بإذن الله.

(٦) بوذا: ولد سدهارثا غاوتاما في القرن السادس قبل الميلاد لأسرة هندوسية من الطبقات الشريفة. اختار سدهارثا طريق التنسك والتشفي الذي كان عليه نساك زمانه، ليحقق الخلاص من الآلام الدنيوية، اكتشف بعدها بسبعة أعوام أن إماتة الجسد ليست هي السبيل لتحقيق الخلاص. وفي أحد الأيام جلس بوذا متأملاً تحت شجرة ضخمة بجانب النهر، وزعم أنه بلغ ما أسماه «الإشراق»، فحقق الخلاص والتحرر من التناسخ، وأصبح بعدها يسمى الـ بوذا، وبدأ ينشر تعاليمه. توفي بوذا عن عمر يناهز الثمانين سنة، بعد رئاسته للرهبة لمدة امتدت إلى خمسة وأربعين عاماً.

انظر: حياة البوذا، سيرة مفسرة: دايسكاو إكيدا ص ١٥ وما بعدها؛ والحكمة البوذية، حياة البده، تعاليمه، سبيل الحق: جورج حلو، ريماء صعب، روبرت كفوري ص ٥ - ١١، وبوذا والفلسفة البوذية: كامل محمد عويضة ص ٧٦ - ٨٧.

في بلاد الهند، فهي لم تخرج عن إطار الفكر الهندي بشكل عام، وبسبب نشوئها ضمن المحيط الديني والاجتماعي للهندوسية، فقد تبنت العديد من أفكارها ومعتقداتها.

وقبل الشروع في الحديث عن المعتقدات البوذية، لا بد من الإشارة إلى أنها انقسمت إلى مدارس عدّة، لم يبق منها على مر العصور إلا تلك التي يسميها البوذيون المركبات الثلاث^(١). تحمل كل واحدة من هذه المركبات نظرة مختلفة تجاه تعاليم بوذا وكيفية الوصول إلى مرحلة الخلاص، مع اشتراكها في بعض المعتقدات الأساسية^(٢). احتفظت البوذية - بمدارسها الثلاث - بكثير من العقائد الهندوسية الدارجة في الهند إبان نشأتها، ولم تحدث فيها أي إضافة أو تغيير يذكر، من أهمها: عقيدة الـ كارما والـ سمسارا. أما العقائد الخاصة بالبوذية فهي كالتالي:

(١) بوذا: اختلفت نظرة البوذيين إلى بوذا بحسب قربهم وبعدهم عن تعاليمه، فالمدارس التي بقيت على التعاليم الأصلية للفلسفة البوذية، والتي تتسم

(١) وفي هذا إشارة إلى العقائد الباطنية عند البوذية، حيث تُعدّ العقيدة والتعاليم مطبّعة يصل بها المرء إلى الغاية، فإذا حقق هدفه تخلص عن المركبة ولم يعد بحاجة إليها. وهذا شبيه بحال غلاة الصوفية والفرق الباطنية المتسبة للإسلام.

(٢) المركبة الصغرى، الـ هنايانا: (Hinayana) وسميها أتباعها: الـ ثيرافادا - (Theravada) أو طريق الأقدمين، ويتميزون بالتقيد الحرفي بتعاليم بوذا، والحرص على الإبقاء على أصالة الفلسفة دون تحويلها إلى ديانة تعبدية. ومن ثم فهم لا يعترفون بالاجتهادات التي نشأت عن النساك الرهبان من بعد بوذا. ويعتبرون الطريق الوسط الذي اتبعه بوذا في آخر حياته هو سبيل الخلاص.

المركبة الكبرى، الـ مهاييانا: (Mahayana) نشأت هذه المدرسة كمحاولة للتصدي للفلسفات الهندوسية التي عجزت الـ هنايانا عن مواجهتها، وذلك من خلال توفير الشروح والتفاسير المطولة على العقائد البوذية الأساسية، والاعتماد على الآراء الاجتهادية الحادثة. ويرى أتباع المركبة الكبرى أن التزهد والتقشف هو الطريق إلى الخلاص، حيث كان هذا المسلك هو الذي مهد لـ بوذا طريق الوصول إلى حالة الإشراق.

المركبة الماسية، الـ فاجريانا: (Vajrayana) تفرعت هذه الطريقة عن المركبة الكبرى، وتميزت بما أدخل عليها من المعتقدات الدينية، والممارسات التعبدية، والـ يوغية.

انظر: الحكمة البوذية ص ١٧ - ١٨، حلقة الدراسات الهندية، والأديان الحية: أديب صعب ص ٥٩ - ٦١، والفلسفة في الهند: د. علي زيعور ص ٢٦٦ - ٢٦٧، والفكر الشرقي: د. بونج كيم: ٥٩.

بالإلحاد - أو في أقل أحوالها التوقف في وجود الإله^(١) - لم تكن تؤله بوذا، بل لم تعر للقضايا الغيبية والإلهيات كبير اهتمام، ولم تتطرق لكثير منها بالنفي أو الإثبات، فهو معلم ومرشد إلى سبيل الخلاص. والتعاليم التطبيقية والسلوكية المتعلقة بالفلسفة إنما يراد منها تحقيق الخلاص الذاتي، وليس التقرب لأي قوى خارقة^(٢).

أما المدارس التي انحرفت عن تعاليم بوذا الأصلية فهي تصفه بالصفات الخارقة وتلبسه لباس الألوهية. ومن ثم شيدت له التماثيل، وقدمت لها القرابين، وظهرت العبادات والطقوس الدينية، إلى أن أصبحت البوذية صورة شبيهة بالوثنية الهندوسية البدائية^(٣). وثمة توجه آخر داخل المدارس البوذية وهو الذي يصف بوذا بصفات تجاوزية تشبه إلى حد كبير صفات إله براهمان في الهندوسية، والـ طاو في الطاوية. وهو قول مفض إلى القول بالحلول، أو وحدة الوجود^(٤). وعندما يسجد البوذي أمام بوذا فهو لا يسجد في الحقيقة لبوذا، وإنما هو تعبير عن الاعتراف بالـ بوذا في داخل الساجد، والمعبد البوذي هو - في الحقيقة - داخل العقل. وسبيل الاستنارة لا يمكن أن يتعلمه الإنسان، وإنما يدركه بالتجربة^(٥).

ولا شك أن المظاهر الوثنية هي الأكثر انتشاراً بين أتباع البوذية في بلدان الشرق. أما الإلحاد والقول بالملطق المتجاوز، فمقتصرة على الخواص من الكهنة والرهبان، حيث تعد هذه العقائد مستعصية الفهم على العوام والبسطاء. بينما انتقلت تلك العقائد المعقدة إلى الغرب وتبنتها حركة «العصر الجديد».

(٢) الحقائق الأربع: بينما كان بوذا في تأمله الشهير، ادعى أنه قد انكشفت لإدراكه أربع حقائق يُعد الجهل بها هو السبب في تكرار الموالد، والبقاء في دوامة التناسخ. هذه الحقائق الأربع هي الفكرة المركزية في البوذية،

(١) انظر: The Vision of Buddhism: the Space Under the Tree-Roger J. Corless: 116.

(٢) انظر: الحكمة البوذية: ص ٢٥، حلقة الدراسات الهندية، ودراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند: د. ضياء الدين الأعظمي ص ٦٤٦ - ٦٤٨، و Buddhism-Bradley K. Hawkins: 65.

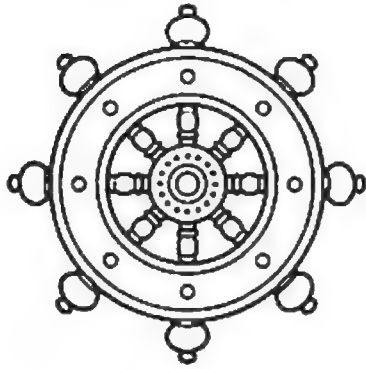
(٣) انظر: الأديان الحية: أديب صعب ص ٥٧ - ٥٨ - ٦١.

(٤) انظر: الفكر الشرقي: د. بونج شوون كيم ص ٧٨ - ٨٠.

(٥) انظر: New Age Living-Paul Ronald: (86, 88).

وتأملها هو المهمة الأساسية في حياة البوذي، وهي الموصلة إلى الإشراق والتنوير. تتمثل تلك الحقائق بالنقاط التالية^(١):

- ١ - حقيقة العذاب: يعني بها إدراك مظاهر العذاب وأشكاله. فالولادة عذاب، والمرض عذاب، والهزم عذاب، والموت عذاب. والإنسان يحس بالألم والعذاب إذا أصيب شيء من مكونات الـ أنا، فإما أن يؤذى في جسده فيمرض، أو في مشاعره فيحزن. هذه هي الحقيقة الأولى التي يجب على السالك إدراكها.
- ٢ - حقيقة أصل العذاب وأسبابه: ويكمن سبب العذاب عند البوذيين في رغبة الإنسان بما لا يستطيع تحصيله، فتتولد المعاناة من حرمانه.
- ٣ - حقيقة إبطال العذاب والقضاء عليه: هذه الحقيقة هي عبارة عن إبطال التوق، والرغبة والتحرر منها بشكل تام، حيث لا يبقى للإنسان رغبة. وبذلك تبطل عملية الصيرورة، وتقطع عملية التناسخ.
- ٤ - حقيقة السبيل المؤدي إلى إبطال العذاب: وهي الطريق العملي لتحصيل



من رموز السبيل الثماني البوذي

ثمرة بقية الحقائق، وإبطال العذاب، والتوصل إلى الـ نيرفانا^(٢). يتكون هذا السبيل من ثماني شعب ويعبر عنه أحياناً بالسبيل الثماني^(٣)، ومن يتبع هذا السبيل الثماني يحقق السلام الروحاني، والسعادة الحقيقية دون حاجة إلى رب، أو إله - بزعمهم^(٤).

(١) انظر: الفكر الشرقي القديم: جون كولر ص ١٩١ - ١٩٧، والفكر الشرقي القديم: د.

جمال المرزوقي ص ٢٣١ - ٢٣٣، وإنجيل بوذا: ترجمة: سامي سليمان شبا ص ٤٨ - ٥٠.

(٢) انظر: الفكر الشرقي القديم: جون كولر ص ١٩١ - ١٩٧، والفلسفة في الهند: د. علي زيعور ص ٢٦٩.

(٣) انظر: الفكر الشرقي القديم: جون كولر ص ١٩٧ - ٢٠١، والحكمة البوذية ص ٦٣ - ١١٠، حلقة الدراسات الهندية، ودراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند: د.

محمد الأعظمي ص ٦٤٣ - ٦٤٤ و. Evangelizing the New Age-Paul McGuire: (41-42).

(٤) انظر: An Overview on the New Age Movement-William Reck: 5, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: (123-126).

(٣) الـ نيرفانا (Nirvana): هي كلمة سنسكريتية؛ تعني: الانطفاء، أو انقطاع التوق، وانعدام الرغبة^(١). وهي الهدف الأسمى لجميع الممارسات البوذية. يُعبّر عنها البوذيون بأنها «الغاية التي ينتهي إليها الإنسان بعد خلاصه من كل ألم، وفوزه بالنجاة الحقيقية»^(٢). ومع أهمية هذا المبدأ عند كافة المدارس البوذية، إلا أن الباحث يجد اضطراباً كبيراً في تحديد مفهومه وتقديم تعريف واضح لحقيقته في النصوص البوذية، لا سيما المتقدمة منها. فقد تم وصف الـ نيرفانا في النصوص البوذية المتقدمة على ثلاثة أساليب^(٣):

○ وصف سلبي: وهذا هو الغالب في وصف الـ نيرفانا، فهم يرون أنها تدرك بالتجربة والحس وليس بالمعرفة، ومن ثم لا يمكن وصفها. يقول بوذا:

«أيها الرهبان، هناك حالة لا يوجد فيها لا أرض، ولا ماء، ولا حرارة، ولا هواء، ولا لا نهاية مكان، ولا لا نهاية معرفة، ولا شيء، ولا محسوس، ولا عدم محسوس، ولا شعور، ولا عدم شعور، ولا إدراك، ولا عدم إدراك، ولا هذا العالم، ولا عالم آخر...»^(٤).

○ وصف إيجابي: وردت صفات إيجابية للـ نيرفانا في مواضع قليلة نسبياً. ومن ذلك قول بوذا:

«هذه الحالة هي استقرار وثبات وعدم تغير، هي الخلود الذي ليس له بداية ولا نهاية. هذه هي نهاية الألم»^(٥).

○ عدم الوصف: حيث كانت ثمة مواضع عديدة امتنع فيها بوذا عن وصف الـ نيرفانا مطلقاً لاستحالة ذلك في رأيه^(٦).

أما المتأخرون فقد اختلفوا في تحديد مفهوم الـ نيرفانا وتعريفها، كما

(١) انظر: الحكمة البوذية ص ٢٧، حلقة الدراسات الهندية. Buddhism: A Modern Perspective (Nirvana). - Francis H. Cook: 133

(٢) بوذا والفلسفة البوذية: كامل محمد عويضة ص ١٥٤.

(٣) انظر: Buddhism: A Modern Perspective (Nirvana). - Francis H. Cook: 134

(٤) إنجيل بوذا ص ٨٥ - ٨٦.

(٥) المصدر السابق ص ٨٦.

(٦) انظر: الأديان الحية: أديب صعب ص ٥٧.

اختلف المتقدمون في وصفها. وقد نتج عن هذا الاختلاف تعريفات متباينة تبناها المدارس البوذية المختلفة. من أبرزها:

○ أن الـ نيرفانا هي الاندماج في ذات الإله والفناء فيه. وهو خاص بمن يعتقد بتأليه بوذا أو أي من الآلهة الهندوسية.

○ أن الـ نيرفانا تعبير عن إدراك للوحدة مع المطلق، وهي ضرب من ضروب وحدة الوجود. وهذا التعريف والذي قبله شبيهان بمفهوم الـ موكشا في الهندوسية^(١).

○ وقيل: أن الـ نيرفانا وضع فكري نفسي، وهي أعلى مراتب الصفاء الروحي التي يتوصل إليها السالك بإعدام رغباته المادية وأغراضه الشخصية، وتوقفه عن عمل الخير والشر^(٢). وهي آخر الأطوار الأربعة التي يمر بها البوذي في سعيه لتحقيق الخلاص المزعوم من دوامة التناسخ^(٣).

لقد كانت بدايات دخول البوذية إلى أميركا في القرن التاسع عشر مع الفلسفة المتعالية والثيوصوفي خاصة^(٤)، وكما سبق فإن بلافاتسكي نفسها كانت قد تحولت إلى البوذية^(٥).

أما المدارس البوذية الأكثر انتشاراً في الغرب فهي: زن^(٦) (Zen) والـ تانترا^(٧)

(١) سبق التعريف بها في ص ٨٤.

(٢) انظر: أديان الهند الكبرى: د. أحمد شلبي ص ١٦٣ - ١٦٥، والفكر الشرقي: د. يونس كيم ص ٦٧ - ٦٨.

(٣) انظر: ذيل الملل والنحل للشهرستاني: محمد سيد كيلاني ص ١٦ - ١٨، والحكمة البوذية ص ٢٧ - ٢٨، حلقة الدراسات الهندية، وقصة الحضارة: ول ديورانت ٨٤/٣.

(٤) انظر: Buddhism in America-Richard Seagar: x.

(٥) The New Age Movement-Paul Heclius: 45.

(٦) زن: توصف بوذية زن بأنها أصعب ديانات الأرض فهماً، فهي استمرارية بشكل يصعب معه فهمها، أو شرحها بالكلمات كما يدعون، وإنما تفهم بالتجربة. هدف زن هو تحقيق «الاستنارة» وما يسمونه ساتوري (Satori) وذلك عن طريق التأمل الذي يخلي العقل من جميع المعطيات اللغوية والمنطقية. انظر:

Another Gospel-Ruth Tucker: 386.

(٧) تانترا: هي - في الأصل - توجه هندوسي باطني، وهي إحدى المدارس البوذية التي يطلق عليها: المركبة الماسية. تعتبر التانترا من أكثر المدارس البوذية انتشاراً في الغرب. راجع الحاشية ص ٩٤.

(Tantra)^(١)، بينما الصورة التي تتبناها حركة «العصر الجديد» هي صورة ملفقة تجمع بين عناصر من البوذية وتخلطها بديانات وفلسفات أخرى بالإضافة إلى إقحامها في العلوم التجريبية البحتة، وكلها تتبنى عقيدة وحدة الوجود^(٢).

رابعاً: الديانة المصرية القديمة والهرمسية:

يُعبّر بالديانة المصرية القديمة عن مجموعة من المعتقدات والطقوس المتعلقة بالمجتمع الذي كان يقطن بلاد مصر ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد^(٣). وهي - بصورتها البسيطة - ديانة تعددية وثنية تنسب الظواهر الطبيعية للآلهة المتعددة، والخصائص الألوهية للفرعون^(٤).

انتقلت المعتقدات المصرية إلى خارج أرض مصر «فانتشرت في أنحاء البحر الأبيض المتوسط، ومنه انتقلت إلى بلاد العالم المتحضر»^(٥)، وقد كان أول انتقالها إلى أوروبا بواسطة التجار والبحارين الذين جاؤوا إلى البحر المتوسط فتعرفوا على الآلهة المصرية. وفي العهد الروماني أظهرت الطبقات المثقفة شيئاً من الاهتمام بهذا الدين الغريب، ولكن ليس كديانة مجردة، وإنما نظروا إليه - كما نظروا إلى البوذية - بمنظور باطني استسراري^(٦). ومن هنا اختلطت بعض المفاهيم الباطنية الشرقية بالديانات المصرية، ومن ذلك ما حصل في الـ ثيوصوفي من تأليه الآلهة المصرية إيزيس (Isis) عند بلافاسكي التي اعتنقت البوذية^(٧).

(١) انظر: Another Gospel-Ruth Tucker: 387.

(٢) انظر: Evangelizing in the New Age-Paul Moguire: 39, and Catholics and the New Age-Mitch Pacwa: 17, and An Overview of the New Age Movement-William Reck: 5, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 41, and New Age and Neo-Pagan Religions in America-Sarah M. Pike: 14.

(٣) انظر: الحضارة المصرية القديمة: سيربل ألدريد: ٣٤، والأديان الحية: أديب صعب ص ١٩، و An Encyclopedia of Religion-Vergilius Ferm: 245.

(٤) انظر: الحضارة المصرية القديمة: سيربل ألدريد ص ٥٩، ودراسات في الأديان الوثنية القديمة: د. أحمد عجيبة ص ٨٥، والأديان الحية: أديب صعب ص ١٩، و A Handbook of Egyptian Religion-Adolf Eman: 5.

(٥) دراسات في الأديان الوثنية القديمة: د. أحمد عجيبة ص ١٠٣.

(٦) انظر: A Handbook of Egyptian Religion-Adolf Erman: (239-240).

(٧) انظر: Isis Unveiled-Blavatsky: 23.

للديانة المصرية القديمة عدد من الخصائص التي تتميز بها، والتي كان لها أثرٌ في بعض توجهات حركة «العصر الجديد» من بعد^(١)، يمكن إجمالها في الجوانب التالية:

(١) الموت والبعث والخلود:

لقد كانت أبرز سمة للديانة المصرية القديمة اهتمام أتباعها بالموت وما بعده، فقد أشغل المصريين ما يرونه من حتمية الموت، وأرهبهم الفناء، حتى كان هدفهم الأكبر تجاوزه، والخلاص منه. ومن هنا أتى اهتمامهم بأجساد الموتى، ومحاولاتهم المتكلفة في الإبقاء عليها، وتعظيم المقابر، والإسراف في بنائها، حيث رأى المصريون أن روح الميت ستعود إلى الجسد بعد خروجها منه، ولذلك لا بد من حفظه من التحول والتحلل والتغيير. فإذا تعرفت الروح على الجسد، واتحدت به مرة أخرى، تحقق لها الخلود الذي لا فناء بعده^(٢).

ثم إن المصريين القدماء خشوا أن لا يستطيع الإنسان - بعد اتحاد روحه وجسده - معرفة كيفية تجاوز العقبات التي قد تحول بينه وبين الخلود المنشود في العالم الآخر، فأصبحوا يكتبون للموتى الأدلة التي تحتوي على الإرشادات، وسبل تخطي العقبات، وبعض الترانيم السحرية المعينة على ذلك. كانت تلك الإرشادات تكتب على جدران المقابر، وداخل التوابيت، وأخيراً في صحائف مطوية كانت توضع بجانب المومياة ليستعين بها عند قيامه، فكانت بمثابة السجلات التي دُوّنت عليها معتقداتهم، وشيء من تاريخهم القديم^(٣).

(١) انظر: The New Age Movement-Paul Heelas: 41, and The New Age Cult-Walter Martin: 15, Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 95, and The Western Esoteric Traditions-Nicholas Clark: 18. and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 95, and New Age and Neo-Pagan Religions in America-Sarah M. Pike: 14, and Perspectives on the New Age. Robert Ellwood: 59.

(٢) انظر: الحضارة المصرية القديمة: سيريل ألدريد ص ٥٩، والدين في مصر القديمة: أبكار السقاف ص ٤٩، ومدخل لقراءة الفكر الفلسفي: د. مصطفى النشار ص ٣٤ - ٣٥، والأديان الحية: أديب صعب: ٢٠، و A Handbook of Egyptian Religion-Adolf Erman: 85

(٣) انظر: مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي: هارولد بل ص ١٥، و Dictionary of Religion & Philosophy-Geddes MacGregor: 72. and A Handbook of Egyptian Religion Adolf Erman: 85.

وقد أصبحت تلك الكتابات من أهم مصادر العلم بالديانة المصرية القديمة، فعرف ما كتب على جدران المقابر الكبرى بـ «متون الأهرام»، ومجموع ما كتب على التوابيت بـ «كتاب الموتى»^(١).

(٢) الطقوس السحرية:

كان للسحر أهمية كبرى في الديانة المصرية القديمة، فقد كان يُعتقد أن الاتصال بالآلهة يكون من خلال الطقوس السحرية، وأنه وسيلة تمكن الإنسان من فعل الخوارق والعجائب - بل وتحقيق الخلود^(٢). وقد وُظف الصوت في الطقوس السحرية المصرية تماماً كالمانترا في الهندوسية والبوذية^(٣).

ربما يعود هذا الاهتمام بالسحر عند المصريين إلى قصة تروى عن إلهة هي من أعظم الآلهة المصرية، وأكثرها شهرة: الإلهة إيزيس (Isis). تحكي الأسطورة أن زوج إيزيس قُتل بسبب خصومته مع أحد الآلهة، فوُضع في تابوت ورمي في النيل. فبحثت عنه زوجته حتى وجدت أشلاءه المقطعة، ومن خلال قيامها ببعض الطقوس السحرية جمعت جسده، وأعادت له الحياة ليصبح ملك العالم السفلي (Underworld) فبالسحر اكتشفت إيزيس الدواء الذي يتحقق به الخلود^(٤).

لقد حُظَّ اسم إيزيس ورسمت صورها في مواضع كثيرة جداً من الآثار المصرية. وهي ترمز للخصوبة والسحر، ويُعتقد أنها ولدت السماوات والأرض^(٥).

(١) انظر: الدين في مصر القديمة: أبكار السقاف ص ٢٨، وفي تاريخ مصر القديمة: د. محمد سعد الله ص ١١، وآلهة مصر: فرانسوا ديماس ص ١٣، ودراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم: د. أحمد أمين ص ١١، و A Handbook of Egyptian Religion-Adolf Erman: 85.

(٢) انظر: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم: د. أحمد أمين: ٩٨، ومع الفلسفة اليونانية: د. عبد الرحمن مرحبا ص ٦٠، والتراث المسروق: جورج جيمس: ١٣٠، و A Handbook of Egyptian-Religion-Adolf Erman: 25, 148.

(٣) انظر: New Age Living-Paul Ronald: 13.

(٤) انظر: آلهة مصر: فرانسوا ديماس ص ١٦، ٩٩، ودراسات في الأديان الوثنية القديمة: د. أحمد عجيب ص ٩٧، ومتون هرمس: تيموثي فريك وبيتر غاندي ص ٦١، و An Encyclopedia of Religion-Vergilus Ferm: 246, and Dictionary of Religion & Philosophy-Geddes MacGregor: 72.

(٥) انظر: A Handbook of Egyptian Religion-Adolf Erman: 16.

وبعد احتلال الإسكندر^(١) للبلاد المصرية انتقل الاعتقاد بتأليه إيزيس إلى الإغريق والرومان^(٢)، ولا تزال هذه الإلهة مقدسة عند بعض الجماعات الاستسرارية المصنفة ضمن حركة «العصر الجديد» كـ «جماعة إيزيس» (Fellowship of Isis) التي تأسست في إيرلندا عام ١٩٧٦م^(٣).

(٣) الحلول ووحدة الوجود:

لقد كان للديانة المصرية القديمة جانب باطني ومعتقدات استسرارية، حتى اعتبرت مصر منبعاً من منابع العلوم الباطنية المتعلقة بالكون والنفس^(٤). فالوثنية التعددية الساذجة لم تُشبع العقل المصري وروحه، وأصبح ينظر إلى الآلهة على أنها متفاوتة في السلطة والسيادة يطغى بعضها على بعض. ثم تطورت الديانة المصرية إلى أن تقرر لدى أتباعها أن الإله واحد، ولكن هذا التطور قصر دون التوحيد وانحرف إلى وحدة الوجود، فكان يُنظر إلى الآلهة - وجميع الكائنات - على أنها ليست سوى تجليات لذلك الإله الواحد والوجود المقدس^(٥)، أو على أن «روح» الإله قد حلت فيها^(٦).

وكنتيجة حتمية للاعتقاد بوحدة الوجود يأتي القول بتأليه الذات البشرية، فكان تأليه الإنسان من أهم أهداف الأسرار المصرية^(٧). لقد تحدث المصريون

(١) الإسكندر (Alexander the Great): هو الإسكندر المقدوني، ملك مقدونيا، ابن فيليب الثاني ولد في عام ٣٥٦ ق.م. بسط سلطانه في بلاد اليونان، وأطاح بالإمبراطورية الفارسية، توفي في مدينة بابل في العراق عام ٣٢٣ ق.م، ودفن بالإسكندرية في مصر.

انظر: البداية والنهاية: ابن كثير ٩٧/٢، و Encyclopedia of Columbia 6th Edition-Ev: 1293

(٢) انظر: A Handbook of Egyptian Religion-Adolf Erman: 196

(٣) تصفح: www.fellowshipofisis.com

ومما يجعلنا نجزم بأن الجماعة ليست جماعة وثنية حديثة فقط؛ بل من المتأثرين بفكر «العصر الجديد» عدم اقتصارهم في طقوسهم على تعظيم إيزيس، حيث يجمعون إليها آلهة من ديانات وثنية متباينة كـ كوان ين البوذي، وكرشنا الهندوسي، وغيرهما في معبد واحد.

(٤) انظر: New Age Living-Paul Roland: 12.

(٥) انظر: Lectures on the Origin and Growth of Religion-Le Page Renouf: (230-232).

(٦) انظر: الفلسفة الشرقية: محمد غلاب: ٣٢، ودراسات في الأديان الوثنية القديمة: د. أحمد عجيبة ص ٩١.

(٧) انظر: التراث المسروق: جورج جيمس ص ٤١.

القدماء عن مفاهيم النفس (Khabit) والجسد (Sahu)، وفي الجسد تكمن الروح (Ba) والشرارة الإلهية (Khu) على اختلاف بين الباحثين في الأسماء والمسميات^(١)، ففي داخل الإنسان شرارة إلهية - بل هو تجسيد للإله^(٢).

لقد كانت التصاوير المصرية المرسومة على جدران الأهرامات، وفي كتب الموتى تمثل الآلهة والفراعنة وهم في أوضاع محددة، يسعى الناس إلى تطبيقها من أجل تقمص الإلهية، كما هو الحال مع أوضاع ال أسانا (Asana) في ال يوغا الهندوسية^(٣).

ومن الفلسفات المتعلقة بعقيدة وحدة الوجود - والتي تبناها المصريون القدماء - فلسفة العناصر الأربعة: النار، والهواء، والتراب، والماء. وهي عناصر لا تمثل الأصول المادية للوجود المحسوس، بل تعتبر الصور البدائية للوجود المطلق، ويتمازجها واجتماعها تتشكل مفردات الكون. فهي مرحلة أولية في سلسلة التولد الفيضي^(٤).

لقد كانت الحضارة المصرية مشبعة بالرمزية، فكانت الأعداد تمثل رموزاً دينية، وكذلك الأشكال الهندسية. كما أن بعض المعابد بُنِي بشكل رمزي، لتمثل مواد البناء الاعتقاد بالعناصر الأربعة مثلاً.

(٤) الأهرامات:

تطلق الأهرامات في اللغة المصرية القديمة على مكان الصعود. وهي - في الواقع - قبور ضخمة صنعت للأسر المالكة وأبناء العلية^(٥)، وقد شكلت مصدر

(١) انظر: الأديان الحية: أديب صعب ص ١٩، والتراث المسروق: جورج جيمس ص ١٢٢، والأديان الحية: أديب صعب ص ٢٠ و 51، An Encyclopedia of Religion-Vergilus Ferm: 51، and Lectures on the Origin and Growth of Religion-Le Page Renouf: 239، and New Age Living-Paul Ronald: 12.

(٢) انظر: متون هرمس: تيموثي فريك وبيتر غاندي: ٣١، و New Age Living-Paul Ronald: 13.

(٣) انظر: Modern Esoteric Spirituality-Needlemam & Faivre: 4، and The Western Esoteric Traditions-Clark: 18.

(٤) انظر: التراث المسروق: جورج جيمس: ٨٥، و New Age Living-Paul Ronald: 13، and Lectures on the Origin and Growth of Religion-Le Page Renouf: 232، and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 96.

(٥) انظر: Dictionary of Religion & Philosophy-Geddes MacGregor: 515.

جذب للمهتمين من جميع أنحاء العالم حتى صُنفت أهرامات الجيزة على أنها إحدى عجائب الدنيا السبع^(١).

لقد توالى اهتمام الجماعات الباطنية الغربية بالأهرامات، ونسبوا لها العجائب والأساطير. فقد كان إدغر كيسي يرى أن الأهرامات تتضمن سجلاً متكاملًا للتاريخ البشري، ومستقبله، يمكن الاطلاع عليه بفك الرموز الفرعونية ومن خلال التنجيم. بينما اعتقدت مدام بلافاتسكي - وكثير من أتباع الـ ثيوصوفي - أن للأهرامات خصائص سرية تجعل ما بباطنها يشهد الخوارق والأعاجيب^(٢). واستمر هذا الانجذاب في أتباع حركة «العصر الجديد» حيث اعتبرت من وسائل استقطاب «الطاقة»، ويصنعون أشكالاً هرمية مماثلة للنسب القياسية للأهرامات المصرية معتقدين أنها تحقق أفعالاً غريبة بفعل «طاقة الأهرامات» (Pyrami Power)^(٣)، فهي تسهم في تخزين الطعام، وعدم تعرضه للفساد لمدة طويلة، كما يُستعان بها في الاتصال بالعوالم الغيبية والاطلاع على «سجلات أكاشا»^(٤) (Akashic Records). كما يستخدم الشكل الهرمي كصومعة يجلس بداخلها من يريد ممارسة التأمل الباطني^(٥).

(١) تعد الأهرامات المصرية المعلم الوحيد الذي لا يزال قائماً حتى اليوم، أما بقية العجائب فقد تلاشت آثارها.

(٢) انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: 149.

(٣) انظر: Children of the New Age-Sтивен ج. سوتليف: 175, and Healing or Stealing-Jean-Marie Abgrall: 108.

وبمجرد إدخال «طاقة الأهرامات» في أحد محركات البحث على شبكة الإنترنت تجد قائمة مطولة ممن يعتقدون بهذه العجائب، وهو مصطلح دارج عند أتباع حركة «العصر الجديد».

(٤) سجلات أكاشا: «أكاشا» كلمة سنسكريتية تعني الأثير، وهي سجل أثيري يلخص جميع الأفكار والمشاعر منذ بدء الوجود وإلى الأبد، يستطيع بعض الأفراد المختارين التوصل إلى معلوماته ومن ثم التكهن بالمستقبل. وربما اتصل به الإنسان دون وعي منه عن طريق الأحلام والحدس. يسميه دغر كيسي: كتاب الذاكرة الإلهية. انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: 15, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 15.

(٥) انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: 149.

وهذه الأشكال الهرمية - إلى جانب كثير من الرموز المصرية - تباع في المتاجر الخاصة بحركة «العصر الجديد» تصفح، مثلاً:

○ الهرمسية:



عصا هرمس من رموز الهرمسية

عندما استولى الإغريق على البلاد المصرية في ما يُعرف بالفترة الهيلينية، ظلت المعتقدات المصرية هي السائدة - بل اكتسبت الآلهة المصرية بعض الأتباع الجدد من اليونان. ولكنها مع مرور الوقت أخذت تتشرب بعض الخصائص الإغريقية^(١). وقد حفظت الجوانب العملية والباطنية للديانة المصرية القديمة في مجموعة مخطوطات مصرية ويونانية وعبرية تعرف بـ كوربوس هيرميتك (Corpus Hermeticum) تم جمعها

في القرنين الأول والثاني قبل الميلاد^(٢)، وتُنسب إلى شخصية أسطورية يدعى هرمس (Hermes) مثلث العظمة^(٣)، وهو المقابل الإغريقي للإله تحوت^(٤) (Thoth) المصري، أو صورة مدمجة لهما^(٥). فنشأ عن تلك الكتابات منظومة من

= www.thespiritualdimension.com.Egyptian.

www.higherheart.com.Egyptian statues & gifts.

www.mysticunicom.com.Egyptian.

(١) انظر: مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي: هارولد بل: ٣٧، ٥١، و A Handbook of Egyptian Religion-Adolf Eman: 203.

(٢) انظر: Modern Esoteric Spirituality-Needlemam & Faivre: 4, and The Western Esoteric Traditions-Nicholas Clark: 18.

(٣) هرمس: سمي هرمس بـ «مثلث العظمة» للاعتقاد بأنه جمع العلم بأجزاء الحكمة الثلاثة: الخيمياء، والتنجيم، والسحر. وقيل: لأنه كان أعظم كاهن (رجل دين)، وأعظم فيلسوف، وأعظم ملك. وقيل غير ذلك. انظر: آلهة مصر: فرانسوا ديماس ص ٨٦.

(٤) تحوت (Thoth): يُعتقد أنه حكيم مصري تحول بحكمته إلى إله كان يُقدس في مصر قبل ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد، بيده أمر خلود العباد في السماء. كما يعزى إليه اختراع الكتابة الهيروغليفية وإليه تنسب كتابات هرمس التي تسمى عند متصوفة الإسلام: الهرمسيات.

انظر: متون هرمس: تيموثي فريك وبيتر غاندي ص ١٣.

(٥) انظر: هرمس المثلث العظمة: لويس مينار ص ١١، ١٥، وآلهة مصر: فرانسوا ديماس: ٨٦، ومنون هرمس: تيموثي فريك وبيتر غاندي ص ١٣، و A Handbook of Egyptian Religion-Adolf Eman: 244, New Age Living-Paul Ronald: 13, and Lectures on the Origin

الاعتقادات والفلسفات الغنوصية التي مثلت مذهباً باطنياً متميزاً أطلق عليه اسم: الهرمسية، وهو من أقوى المؤثرات في التيارات الباطنية الغربية ومن أبرز مصادرها، خاصة في عصر النهضة عندما نقلت الكتب المنسوبة إلى هرمس إلى اللغات الأوروبية، واعتقد بعض المفكرين أنهم وجدوا فيها أصولاً لفلسفات أفلاطون^(١) وفيثاغورس^{(٢)(٣)}.

اكتنف شخصية هرمس شيء من الغموض واختلف المؤرخون كثيراً في تحديد زمن ظهوره وموطنه - بل وفي حقيقة وجوده^(٤)، وهذا كله لا يشكل أهمية تذكر في ما نحن بصدده، فإن المقصود دراسة الديانة والفلسفات التي تُنسب إليه، وآثارها دون الخوض في صحة تلك النسبة من عدمها. وإن كان بعض الباحثين يرجح أن الكتابات المنسوبة إلى هرمس هي من وضع بعض فلاسفة

and Growth of Religion-Le Page Renouf: 116, and An Encyclopedia of Religion-Vergilius = Ferm: 333. Dictionary of Religion & Philosophy-Geddes: 306, and Modern Esoteric Spirituality-Needham & Faivre: 4.

(١) أفلاطون (Plato): فيلسوف يوناني ولد عام ٤٢٨ ق.م لأسرة أثينية أرستقراطية ثرية، يعد من واضعي الأسس الفلسفية للثقافة الغربية. قرأ لمن سبقه من الفلاسفة وكان تلميذاً مقرباً لسقراط الذي كان الملهم لتفكيره. وبعد وفاة سقراط أخذ أفلاطون بالتنقل بين البلدان منها إيطاليا ومصر. ثم عاد إلى أثينا واستقر بها وأسس فيها مدرسة سميت «الأكاديمية» وأخذ يعلم فيها وينشر فكره من خلال تدوين محاوراته مع سقراط. له عدد من المؤلفات الحوارية وأشهر كتبه: الجمهورية، الذي رسم فيه صورة للمدينة الفاضلة التي يترأسها الفلاسفة كما تخيلها. توفي عام ٣٤٧ ق.م.

انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: وولتر ستيس ص ١٤٨ - ١٤٩، ودراسات في الفلسفة اليونانية: د. محمد فتحي، ود. علاء عبد المتعال ص ٤٩.

(٢) فيثاغورس: عالم رياضي وفيلسوف يوناني عاش في القرن السادس قبل الميلاد. مؤسس المدرسة الفيثاغورية وأسهم في تطوير الهندسة، وفي منتصف عمره هاجر إلى إيطاليا. له عدد من الآراء الباطنية وكان يقول بالتناسخ.

انظر: دراسات في الفلسفة اليونانية: د. محمد فتحي ود. علاء عبد المتعال: ٦٣، موسوعة المورد: منير بعلبكي ١٠٤/٨.

(٣) انظر: هرمس المثلث العظيمة: لويس مينار ص ١٥، ومتون هرمس: تيموثي فريك وبيتر غاندي ص ١٣، ٢٠، و The Western Esoteric Traditions-Nicholas Clark: 16, and The Esoteric Origins of the American Columbia Encyclopedia 6th Edition: 22221, and The Esoteric Origins of the American Renaissance-Arthur Versluis: 5.

(٤) انظر: هرمس المثلث العظيمة: لويس مينار ص ٦ - ١٢.

مذهب الإسكندرية أو الفيثاغورية المحدث^(١).

أما ما يذكره بعض الكتاب من كون هرمس هو نبي الله إدريس عليه السلام^(٢) فلا يمكن أن يتصوره مسلم. ف هرمس هذا - إن ثبت وجوده - لم يعرف إلا من خلال المتون المنسوبة إليه، وهي مليئة بالفلسفات الباطنية، والعبارات الإلحادية التي لا يمكن أن تخرج من مشكاة النبوة، فكيف يجعل قائلها نبياً؟ فإن قيل: ربما أصابها تحريف، قيل: لا حاجة لنا إلى هذا القول، حيث لا يوجد ما يثبت النسبة إلى النبي أصلاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وفي كتب هؤلاء: هرمس الهرامسة، ويزعمون أنه هو إدريس. والهرمس عندهم اسم جنس، ولهذا يقولون: هرمس الهرامسة، وهذا القدر الذي يذكرونه عن هرمسهم يعلم المؤمن قطعاً أنه ليس هو مأخوذاً عن نبي من الأنبياء على وجهه، لما فيه من الكذب والباطل»^(٣).

ومن أبرز العقائد الهرمسية ما يلي:

(١) وحدة الوجود وتأليه الذات:

يُصَوَّرُ الإله في متون هرمس على أنه فكر وعقل ليس له وجود مفارق للعالم، ولا وجود له خارج الذهن إلا متجسداً في الكائنات، يقول هرمس:

«أتوم»^(٤) هو الفكر الأول،

هو أعظم من أن يطلق عليه اسم أتوم،

هو الخفي المنجلي في كل شيء،

تعرف كينونته بالفكر وحده،

وتدركه عيوننا في الآفاق،

ليس له جسد، ولكنه في كل شيء،

(١) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي النشار ١/١٢٩.

(٢) انظر: هرمس المثلث العظيمة (أو نبي الله إدريس): لويس مينار، ومتون هرمس: تيموثي فريك وبيتر غاندي ص ١٣، ورسائل إخوان الصفا: أحمد بن عبد الله ٢/٣٨ (ومواضع متعددة)، والملل والنحل: الشهرستاني ص ٣٤٥.

(٣) مجموع الفتاوى: ابن تيمية ٣٥/١٧٩.

(٤) يطلق على الإله اسم أتوم في متون هرمس.

وليس هناك ما ليس هو»^(١).

والعالم - في الهرمسية - صادر عن «الإله» عن طريق التولد والفيض، فقد تولدت العناصر الأربعة عن الوجود الأول، وتولد عنها العالم المحسوس^(٢)، تماماً كاعتقاد الديانات الشرقية، وكثير من الفلسفات الباطنية. فالكون جزء من الإله، ولكنه ظهر بهذه الصورة المفارقة ظاهرياً لتلبسه بالأدران والشرور. ولذلك فالإنسان ذو طبيعة إلهية تكمن في ذاته البشرية^(٣). ويقرر هرمس أن معرفة الإله لا تتحقق من طريق الوحي، وإنما تكون من خلال تأليه الذات^(٤).

وفي الهرمسية عقيدة تشبه إلى حد كبير مفهوم «الطاقة» الشهير في حركة «العصر الجديد» والمأخوذ في الأصل عن الديانات الشرقية، فهي جزء من التولد الفيضي، وصورة من صور وحدة الوجود إذ هي تمثل أوائل الصادرات عن «الإله» أو الوجود الأزل. يوضحها النص التالي:

«أتوم هو النور ومصدر الطاقة الخالدة أبداً،

مانح الحياة ذاتها أبداً،

والتي يحكم مددها قوانين الكون الخالدة، كينونة الكون هي في الطاقة الخالدة أبداً،

والتي تنبع منها كل أشكال يستحيل عليها أن تتوقف، أو تفنى،

تضمها وتربطها قوة الحياة الأبدية»^(٥).

(٢) تناسخ الأرواح:

من المعتقدات الهرمسية الرئيسة الاعتقاد بتناسخ الأرواح، وأن الروح إذا خرجت من الجسد لا تنتقل إلى عالم أخروي فيه الحساب والجزاء، وإنما تعود

(١) متون هرمس: تيموثي فريك وبيتر غاندي ص ٤٢.

(٢) انظر: المصدر السابق ص ٣٩.

(٣) انظر: المصدر السابق ص ٦٣.

(٤) انظر: المصدر السابق ص ٨٧، أصول الصابئة ومعتقداتهم: عزيز سباهي ص ١٦٩.

نعتبر متون هرمس مقدسة عند الصابئة. انظر: متون هرمس: تيموثي فريك وبيتر غاندي ص ١٧ - ١٨.

(٥) متون هرمس: تيموثي فريك وبيتر غاندي ص ٥٠.

لتسكن في جسد آخر في دوامة لا تنتهي^(١). ولا يكون الخلاص من هذه الدوامة المقيتة إلا من خلال الاتحاد بـ «الإله»، وهو تعبير عن العودة إلى الطبيعة الإلهية الأصلية. والاتحاد بـ «الإله» لا يمكن أن يحدث إلا حال الإعراض عن ذكره تماماً، والكف عن الحديث عنه^(٢)!

(٣) التنجيم:

في الهرمسية اعتقاد صريح بتأثير الأجرام السماوية على المجريات الأرضية - بل وتصرفها بالكون، ويسمىها هرمس: الكائنات الإلهية^(٣).

«تمتعت كتب هرمس المثلث بسلطة كبرى خلال القرون الأولى من تاريخ الكنيسة. وغالباً ما استشهد بها فقهاء الكنيسة»^(٤)، حيث جعلها القساوسة مثلاً للنصوص الوثنية التي تحمل نبوءات بقدوم المسيح ﷺ، كوسيلة للتبشير بالمسيحية في الأوساط الوثنية. ولكن الكنيسة لم تلبث أن تخلت عن النصوص الهرمسية فاندثر ذكرها مدة من الزمان. ولم يزل أتباعها ينخرطون في الجماعات السرية.

أعيد بعث الهرمسية في أوروبا في عصر النهضة، وأصبح لها تأثيراً في عدد من الجماعات الباطنية^(٥)، ولا تزال التيارات الباطنية الغربية مشبعة بالأفكار الهرمسية حتى يومنا هذا، ومنها حركة «العصر الجديد»^(٦)، فقد أعيد إحياء هذا الفكر الباطني تحت مظلة الحركة متمثلة بعدد من الجماعات الهرمسية الجديدة، منها «الجماعة الهرمسية»^(٧) في الولايات المتحدة، كما يتم الترويج للفكر

(١) انظر: المصدر السابق ص ٧٥.

(٢) انظر: المصدر السابق ص ٩١.

(٣) انظر: المصدر السابق ص ٥٣، ٦٧.

(٤) انظر: هرمس المثلث العظيمة: لويس مينار ص ١٥.

(٥) كان لتعاليم هرمس أثر في بعض مثقفي إنجلترا، كـ وليام شكسبير، وفرانسيس بيكون، وإسحاق نيوتن.

انظر: متون هرمس: تيموثي فريك وبيتر غاندي ص ٢١ - ٢٢.

(٦) انظر: New Age Religion and Western Culture-Wouter J. Hanegraaff: (387-388), and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 123, and The Esoteric Origins of the American Renaissance-Arthur Versluis: 138, and The New Age Movement and the Biblical Worldview-NewPort: 21.

(٧) وهي منظمة دينية غير ربحية مسجلة قانونياً، تأسست عام ١٩٩٥م، تهدف إلى توفير

الهرمسي في عدد من المواقع الإلكترونية التي تبني فكر حركة «العصر الجديد» وتنتمي إلى منظومتها^(١).

بينما كان لـ (جماعة الفجر الذهبي الهرمسية) (Hermetic Order of the Golden Dawn)^(٢) التي اشتهرت على يد الساحر الإنجليزي أليستر كرولي (Aleister Crowley)^(٣) أثر كبير في نشر المعتقدات الهرمسية، وظهور الجماعات الهرمسية المعاصرة، وهي - في الوقت ذاته - تعتبر من الجماعات المؤثرة في تشكيل فكر حركة «العصر الجديد»^(٤).

لم يقتصر أثر الهرمسية على التيارات الباطنية الغربية، بل كان لها أثر في التوجهات الباطنية في العالم الإسلامي، وفي بعض الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام كذلك^(٥). فحين أنشئت «دار الحكمة» ببغداد، في القرن التاسع للميلاد،

= المعلومات وجمع الناس المهتمين بالتيارات الباطنية الغربية. وتعتقد بوحدة الأديان والتيارات الباطنية الموصلة إلى حقيقة موحدة.

تصفح: www.hermeticfellowship.org

(١) تصفح، مثلاً: www.new-age-guide.com

www.accessnewage.com

(٢) الفجر الذهبي: هي جماعة سحرية سرية، نشأت في إنجلترا عام ١٨٨٨م، وقدمت نفسها على أنهم خدام حكمة أركايا (Custodians of Archaic Wisdom). جذبت عدداً من المفكرين الأحرار، بالإضافة إلى أليستر كرولي الذي أدت سمعته السيئة وخلافاته مع الأعضاء إلى حل الطريقة. ادعت الجماعة النظر في عمل العقل اللاواعي وتجربة أسرار الموت والحياة، مع إمكانية استحضار «النفس العليا» من خلال بعض الطقوس. وفيها يخلط بين الكבלات اليهودية والديانة المصرية والفكر الماسوني. تم حل النظام في عام ١٩٠٠م إثر خلافات ومحاكمات بين أفرادها.

انظر: The Western Esoteric Traditions-Nicholas Clark: 196, and New Age Living-Paul Roland: 13.

(٣) أليستر كرولي: ساحر وكاتب إنجليزي مشهور، ولد عام ١٨٧٥م وكان عضواً في جماعة الفجر الذهبي الهرمسية. اشتهر بالممارسات الشاذة وتعاطي المخدرات. له عدد من المؤلفات التي دون فيها طرقه السحرية وتجاربه مع المواد المخدرة. لقب بأخبث رجل على الأرض، وتوفي عام ١٩٤٧م، انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and New-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 62, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 75.

(٤) انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: 83, and New Age Living-Paul Roland: 17, and The New Age Movement-Paul Heelas: 44.

(٥) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي النشار ص ١٧٩ - ١٨٠.

ترجمت فيها كثير من الكتابات الفلسفية والمتون الوثنية، منها: متون هرمس، ووجدت نسخ منها في مكتبة الإسكندرية، حتى صارت «الهرمسيات» من المعارف السرية لبعض التيارات الفلسفية في الإسلام - بل يُرجع بعض الباحثين أصول التصوف الإسلامي إلى هرمس مثلث العظمة، لوضوح أثره في كتب المتصوفة^(١).

هذا، «وقد أخذ الفيلسوف الإيراني يحيى السهروردي^(٢) على عاتقه - في القرن الثاني عشر الميلادي - أن يربط بين ما أسماه: الدين الشرقي الأصلي والإسلام، وقال: إن علماء العالم القديم دعوا إلى مذهب وحيد، والذي تنزل على هرمس^(٣)، وقد أخذ السهروردي هذا التصور عن الحلاج^{(٤)(٥)}.

ثم انتقل الفكر الباطني مرة أخرى إلى أوروبا في القرن الخامس عشر، حيث ترجم التراث الوثني الباطني من العربية إلى اللاتينية^(٦).

المطلب الثاني

الاتجاهات الباطنية في الفلسفة اليونانية

لقد كان للثقافة اليونانية توجهان بارزان: توجه ديني، وتوجه فلسفي، أثر كل منهما في حركة «العصر الجديد» بطريقة مختلفة. أما التدين الإغريقي فهو من

= وقد تأثرت بعض الطوائف الخارجة عن الإسلام كغلاة الرافضة والبابية والبهائية بالفلسفة الهرمسية كذلك. انظر: المصدر السابق ١/ ١٨٥.

(١) انظر: متون هرمس (المقدمة): تيموثي فريك وبيتر غاندي ص ١٨، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي النشار ص ١٧٩ - ١٨٠.

(٢) السهروردي المقتول: هو يحيى بن حبش بن أميرك، أبو الفتوح، شهاب الدين، ولد في سهرورد عام ٥٤٩هـ. نسب إلى انحلال العقيدة، وأفتى العلماء بإباحة دمه، فسجنه الملك الظاهر غازي في قلعة حلب، وخنقه في سجنه عام ٥٨٧هـ.

انظر: وفيات الأعيان: ابن خلكان ٦/ ٢٦٨، والأعلام: الزركلي ٨/ ١٤٠.

(٣) انظر: متون هرمس (المقدمة): تيموثي فريك وبيتر غاندي: ١٨.

(٤) الحلاج: هو الحسين بن منصور، أبو مغيث الفارسي، الصوفي، الزنديق، المقتول على زندقته. كان صاحب شعوة وسحر، ويقول بالحلول. أتى بأشياء منكرة وتكلم بما يخرج من الدين، فأفتى العلماء بإباحة دمه، فقتل سنة ٣١١هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء: الذهبي ١٤/ ٣١٣، والبداية والنهاية: ابن كثير ١١/ ١٣٢.

(٥) انظر: متون هرمس: تيموثي فريك وبيتر غاندي ص ١٨.

(٦) انظر: المصدر السابق ص ١٩.

أشهر الديانات الوثنية في العالم القديم، وله منظومة من الآلهة الأسطورية التي تشبه البشر إلى حد كبير. ورغم أن حركة «العصر الجديد» تُعظم بعض تلك الآلهة، وتستشهد بالأساطير الإغريقية أحياناً - كإله النور أبولو (Apollo)، وزيوس (Zeus) إله السماء، وأبو الآلهة - إلا أن الجوانب الدينية الأكثر تأثيراً في فكر الحركة هي ما يلي:

١ - الجانب الطبيعي في الديانة اليونانية: والمقصود به تعظيم الطبيعة وعبادة مظاهرها، ومن ذلك عبادة آلهة الأرض جايا (Gaia)، التي اعتُبرت الأم الصابرة جزلة العطاء^(١).

٢ - الديانات الإغريقية السرية: وهي تمثل التوجه الباطني في الديانة الإغريقية الوثنية، حيث يعتقد أتباعها - كسائر أتباع التوجهات الباطنية - بأن الإنسان في أصله «إله» قد سُجن في الجسد المادي، ومن ثم لا بد من السعي لتحريره، والعودة به إلى أصله بطرق متنوعة، فكانت تقام الاحتفالات السرية التي يتم فيها الكشف عن رموز مقدسة تعين على تحقيق ذلك الهدف، لا يطلع عليها إلا الخواص من الناس^(٢).

وأما التوجه الفلسفي فقد ظهر متأخراً عن التدين الوثني، وكان مناهضاً له في كثير من الأحيان، فقد كان يُعظم العقل البشري، ويُعمله في القضايا الغيبية، ناسفاً الأساطير والآلهة المقدسة. إلا أن هذا التوجه - كسابقه - لم يخلُ من لوثات التصوف، والمعتقدات الباطنية.

لقد ظهرت النزعات الباطنية في الفلسفة اليونانية في مراحل مبكرة تبدأ من مرحلة ما قبل سقراط^(٣)، وتمتد إلى تلاميذه من بعده. ويرى بعض الباحثين أن

(١) انظر: قصة الحضارة: ول ديورنت ص٣٢١، ودراسات في الأديان الوثنية القديمة: د. أحمد عجيبه ص١٤٩، و: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: (64, 78), and New Age Living-Paul Roland: 50, and New Age Encyclopeia-Belinda Whitworth: 107.

(٢) انظر: قصة الحضارة: ول ديورنت ص٣٤١، ودراسات في الأديان الوثنية القديمة: د. أحمد عجيبه ص١٦٠.

(٣) سقراط (Socrates): فيلسوف يوناني من أساطين الفلسفة، ولد في عام ٤٧٠ ق.م، ويعد من واضعي أسس الفلسفة الغربية. لم يترك سقراط أي أثر مكتوب، فجعل فلسفته مأخوذة عن المحاورات التي كتبها تلميذه أفلاطون. سجن وهو في السبعين من عمره بتهمة إنكار

الفلسفة اليونانية قد تأثرت بالديانات الشرقية وقدمتها في ثوب إغريقي، وأن تلك الديانات هي مصدر التوجه الباطني داخل الفلسفة اليونانية^(١).

تأثرت حركة «العصر الجديد» بفلاسفة اليونان ذوي التوجه الباطني، لا سيما فيثاغورس، وأفلاطون، وأفلوطين^(٢)، بطرق مباشرة، وغير مباشرة^(٣). وفيما يلي عرض مختصر لمرحلة ما قبل سقراط، ومرحلة ما بعده:

أولاً: مرحلة ما قبل سقراط:

لقد كانت الفلسفة اليونانية في مطلعها فلسفة «طبيعية»، تبحث في الأصل الطبيعي للعالم وتسمى المدرسة «الأيولية» وعلى رأسها طاليس (Thales)^(٤). جاءت بعدها المدرسة «الإيلية» التي كانت تبحث في الفكر والوجود لا في أصل العالم فحسب، وتعتمد على العقل في إدراك الواقع. كما ظهرت بعض المدارس التي تُرجع الكون إلى أصل واحد غير مادي كالأعداد، أو العقل، أو المطلق، كالمدرسة الـ فيثاغورية^(٥).

= الآلهة اليونانية وإفساد الشباب، وقتل مسموماً عام ٣٩٩ ق.م.

انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص ٦٣.

(١) انظر: المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية ص ٤٧، د. مصطفى النشار من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، د. محمد مرحبا ص ٥٩، ٦٨، والفلسفة عند اليونان: د. أميرة مطر ص ١٧.

(٢) أفلوطين (Plotinus): فيلسوف روماني مصري النشأة، ولد عام ٢٠٤م، انتقل إلى الإسكندرية في الثامنة والعشرين من عمره، وبقي فيها أحد عشر عاماً، وكان له اهتمام بالفلسفة الفارسية والهندية، فرحل مع الجيش الروماني لغزو فارس، ولكن الجيش انهزم، فعاد إلى روما، وبقي فيها إلى أن توفي عام ٢٧٠م. انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص ٣٢٤، وموسوعة الفلسفة: عبد الرحمن بدوي ١٩٦/١.

(٣) انظر: Children of the New Age-Sтивен ج. سوتيف: 39, and The Esoteric Origins of the American Renaissance-Arthur Versluis: 126.

(٤) طاليس: فيلسوف يوناني من الفلاسفة الطبيعيين، وأحد الحكماء السبعة، عاش في القرن السادس قبل الميلاد، وكان مهتماً بالهندسة والفلك. جال أنحاء الشرق، وتبحر في العلوم. وقد تنبأ بحدوث الكسوف الكلي للشمس، رغم أنه كان يعتقد أن الأرض مسطحة.

انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص ١٢.

(٥) انظر: قصة الفلسفة الغربية: د. يحيى هويدي ص ١١ - ١٨.

وإذا نظرنا إلى ما يُنقل عن فلسفة طاليس، نجد أنه كان يعتقد أن الماء هو أصل الموجودات، وأنه النوع الأول الواحد للوجود، وكل موجود ليس إلا تغيراً للماء. لقد كان طاليس - رغم سذاجة فكرته - يسمى أبا الفلسفة، ولعل ذلك راجع إلى أنه أول من أقحم العقل في المسائل الغيبية، ولم يلتفت إلى الأساطير المتعلقة بالآلهة^(١). ثم إن هذه الفلسفة البدائية قد تعتبر تمهيداً للفلسفات الباطنية التي جاءت من بعدها، وتبنت عقيدة وحدة الوجود^(٢). ومن أبرزها فلسفة فيثاغورس.

○ فيثاغورس:

يعتبر الرياضي اليوناني فيثاغورس أبرز فلاسفة مرحلة «ما قبل سقراط» ممن ظهرت النزعة الباطنية في فكرهم وكتاباتهم، وقد يعد أول من قدّم فكرة الوجود المطلق للعقلية الغربية. لقد اشتهر فيثاغورس في الأوساط العلمية بأنه أبو الهندسة ورائدها، ولكنه - مع ذلك - انغمس في الـ ما وراثيات^(٣)، وشكّل مذهباً باطنياً يشبه إلى حد كبير التوجه الفكري في الفلسفات الشرقية. كما أنه أدخل الجوانب الفلسفية في علوم هي في الأصل خالية منها، فكان لـ فيثاغورس اهتمام كبير بالأعداد، ليس من النواحي الحسابية فحسب، وإنما باعتبارات فلسفية باطنية، فاعتبر الأعداد رموزاً لمعان عميقة واستخدمت في الطقوس السرية، ومراسم التأهل لها^(٤).

ويمكن تلخيص أبرز المعتقدات الباطنية التي تُنسب إلى فيثاغورس فيما يلي:

(١) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: وولتر ستيس ص ٣٠، والأديان الحياة: أديب صعب ص ٢٢.

(٢) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص ٢١ و History of Mysticism-S. Abhayana: (90-94).

(٣) الـ ما وراثيات (الميتافيزيقيا (Metaphysics): وهي الأمور التي لا تقع تحت الحس، كالآله والقضايا الغيبية.

انظر: موسوعة لالاند الفلسفية: أندريه لالاند ٧٩٠/٢.

(٤) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص ٣٥، وتاريخ الفلسفة اليونانية: وولتر ستيس ص ٣٩، ودراسات في الفلسفة اليونانية: د. محمد فتحي ود. علاء عبد المتعال ص ٣٣، والملل والنحل: الشهرستاني ص ٣٥٨ - ٣٩٨، و

- ١ - تتميز الـ فيثاغورية باعتقادها أن «الأعداد» هي أصل الوجود، واعتمدت عليها في إنشاء علم الكونيات (Cosmology)^(١).
- ٢ - يرى فيثاغورس أن الوجود متولد عن المطلق، وفائض عنه، وتمثل العناصر الأربعة مرحلة من التسلسل الفيضي عنده، معبراً بذلك عن اعتقاده بوحدة الوجود^(٢).
- ٣ - القول بتناسخ الأرواح، وأن الخلاص منه يكون بتحقيق المعرفة الفلسفية، والتربية العقلية^(٣)، فالإنسان يهدف إلى تأليه ذاته^(٤).
- ٤ - الحقيقة عند فيثاغورس ذاتية، ولديه نزعة إنسانية، فلا حقيقة إلا الإنسان، وكل ما عداه فهو باطل وخداع^(٥).
- لقد كانت الـ فيثاغورية شبيهة بالجماعة الصوفية، فقد اهتم أتباعها بالأسرار والخوارق، والخرافات، مع ما لديهم من فلسفة عقلية^(٦). وتشكل الأنغام والمعارف أهمية كبرى عند فيثاغورس في تحقيق مبادئ فلسفته^(٧).
- وقد تأثرت حركة «العصر الجديد» بجوانب متعددة من فلسفة فيثاغورس الباطنية، خاصة في ربط الأعداد بعلم الكونيات^(٨).
- أما العالم الإسلامي فقد وصله المذهب الـ فيثاغوري مختلطاً بالأفلاطونية

(١) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي النشار ١/١٢٧، ودراسات في الفلسفة اليونانية: د. محمد فتحي ود. علاء عبد المتعال ص ٩٥، والتراث المسروق: جورج جيمس ص ٦٧، و Dictionary of Religion & Philosophy-Geddes MacGregor: 443.

(٢) انظر: قصة الفلسفة الغربية: د. يحيى هويدي ص ١٥ - ١٦.

(٣) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: وولتر ستيس ص ٣٧، ودراسات في الفلسفة اليونانية: د. محمد فتحي، ود. علاء عبد المتعال ص ١٠٥، والتراث المسروق: جورج جيمس ص ٦٥.

(٤) انظر: التراث المسروق: جورج جيمس ص ٦٦.

(٥) انظر: مع الفلسفة اليونانية: د. عبد الرحمن مرحبا ص ٨٩.

(٦) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: وولتر ستيس ص ٣٨، وتاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص ٢١.

(٧) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: وولتر ستيس ص ٤٠، ودراسات في الفلسفة اليونانية: د. محمد فتحي ود. علاء عبد المتعال ص ٥١، والتراث المسروق: جورج جيمس ص ٦٦.

(٨) انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: 136, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 164.

المحدثة^(١) والمشائية المتأخرة^(٢)، وقد أصبح فيثاغورس رمزاً للباطنية أهل الغنوص في الإسلام، خاصة من حيث الاهتمام بالأعداد، وله ذكر متكرر في رسائل إخوان الصفا^{(٣)(٤)}.

ثانياً: سقراط وتلاميذه «المدرسة العقلية»:

كانت الفلسفة قبل سقراط تهتم بعموم الوجود، والكون الخارجي، أما سقراط فجعل موضوعها الإنسان، والعقل، والنفس البشرية^(٥).

ولم يكن لـ سقراط مؤلفات يوضح فيها آراءه الفلسفية، ولذلك فإن جُل ما يذكر عنه هو من نتاج كتابات تلميذه أفلاطون وتدوينه لما دار بينهما من حوارات، والتي يظهر في بعضها إشارات باطنية^(٦).

ولعل أبرز ما يمكن أن يُستدل به على هذا التوجه الباطني لدى سقراط يتمثل في تصويره المجازي الشهير الذي عُبر عنه بـ «الكهف» (Allegory of the Cave)^(٧)، وذكره أفلاطون في كتابه «الجمهورية» (The Republic). في الصورة

- (١) تأتي لاحقاً بإذن الله.
- (٢) المشائية: أتباع مدرسة أرسطو طاليس، وسموا بالمشائين لأن أرسطو كان يلقي عليهم الدروس وهو يمشي، وهم يسرون من حوله، فسمي هو وأتباعه بهذا الاسم. انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص ١٤٢.
- (٣) إخوان الصفا: مختصر من: «جمعية إخوان الصفا وخلان الوفا»، جمعية فلسفية إسماعيلية باطنية، تشكلت على نحو سري في البصرة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، اتحدوا ليجمعوا بين العقائد الفلسفية والعقائد الإسلامية. تأثرت بالفلسفة اليونانية، والهندية، والفارسية، وكانوا يأخذون من كل مذهب بطرف. انظر: إخوان الصفا فلسفتهم وغايتهم: فؤاد معصوم ص ٤٥.
- (٤) انظر: دراسات في الفلسفة اليونانية: د. محمد فتحي ود. علاء عبد المتعال ص ١١٥.
- (٥) انظر: قصة الفلسفة الغربية: د. يحيى هويدي ص ٢٣.
- (٦) علماً أنه لا يمكن الجزم - تاريخياً - بأن ما ذكره أفلاطون عن معلمه هو حقاً من تعاليمه أم أنه كان مجرد مطية لنشر فكر التلميذ، فجل ما ينقله عن سقراط هي أفكار أفلاطونية بحتة، ولذلك لا يمكن التأكد من صحة نسبة تلك الأفكار إلى سقراط من خلال نقولات أفلاطون. انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: وولتر ستيس ص ١٢٣.
- (٧) سياق القصة: تخيل طائفة من الناس يعيشون مقيدون في كهف مظلم تحت الأرض منذ نعومة أظفارهم. وتصور قبساً من نار، ينبعث من خلفهم، فيلقي على الجدار الذي أمامهم ظلالاً متحركة كأن أناساً يمشون، بعضهم يتكلم، وبعضهم صامت. إن أصحاب

إشارات إلى الفرق بين من «يعلم الحقيقة» - التي هي مصدر المظاهر كلها - وبين من لا يعلم سوى تلك المظاهر، وكيف يكون هذا الإنسان «الكامل» بالنسبة لعوام البشر الذين لا يرون إلا المظاهر. كما وجدت ببعض الإشارات التي تدل على اعتقاد سقراط بتناسخ الأرواح^(١).

وعلى كل حال، فإن أثر سقراط على التيارات الباطنية في الغرب محدود جداً، وإنما الأثر الأكبر كان لتلميذه أفلاطون، والمدارس التي تنتسب إليه.

لقد كان تأمل المطلق الأبدي هو غاية الوجود البشري عند أفلاطون، وهو الوسيلة التي تكتمل بها الروح وتطهر، فتتحرر من الجولان في العالم، إذ لا يبقى حاجة لتكرار الولادة. وهي فلسفة مطابقة للفلسفة الشرقية - إن لم تكن مأخوذة عنها^(٢). وبذلك تتبين أبرز الملامح الباطنية في فلسفة أفلاطون.

- ١ - يرى بعض الباحثين أن أفلاطون يعتقد بتناسخ الأرواح^(٣).
- ٢ - كما كان يقول بـ «عالم المثل»^(٤)، وأن ما نراه من العالم هو وهم وأشباح^(٥).

= الكهف يحسبون هذا الظلال حقائق. هب أن أحدهم حل وثاقه، والثفت إلى الورا، ربما استنكر الضوء في البداية، ولكن سرعان ما سيدرك الحقيقة، ولن يقبل حياة الكهف بعد ذلك. ولو أخبر أصحابه بما رأى لسخروا منه!

انظر: مع الفلسفة اليونانية: د. عبد الرحمن مرجحاً ص ١٣١، وقصة الفلسفة الغربية: د. يحيى هويدي ص ٣٠.

(١) انظر: الملل والنحل: الشهرستاني ص ٣٩٩ - ٤٠٤، ومع الفلسفة اليونانية: د. عبد الرحمن مرجحاً ص ٨٩ والتراث المسروق: جورج جيمس ص ٩٤، و History Of Mysticism-S. Abhayana: (97-100).

(٢) انظر: المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية: د. مصطفى النشار: ١٠٠، و History of Mysticism-S. Abhayana: 89.

(٣) انظر: المشكلة الأخلاقية والفلسفة: أندريه كريسون: ٨٥.

(٤) المثل: هي - في رأي أفلاطون - حقائق كلية موجودة وجوداً فعلياً مفارقة للإنسان، ووجودها ليس مادياً، وإنما معان مجردة خالدة، وهي مصدر المعرفة، وعلّة لها، كما أنها مصدر لوجود الأشياء في العالم المحسوس. وأعظم هذه المثل وأعلاها هو المثل الأعلى، وجوهر الوجود.

انظر: قصة الفلسفة الغربية: د. يحيى هويدي ص ٢٨، ومع الفلسفة اليونانية: د. عبد الرحمن مرجحاً ص ١٢٦ - ١٣٠.

(٥) انظر: مع الفلسفة اليونانية: د. عبد الرحمن مرجحاً ص ١٣٢، وقصة الفلسفة الغربية: د. يحيى هويدي ص ٣٠.

٣ - يرى تأليه النفس البشرية واحتواءها على الطبيعة الإلهية^(١).

وهذه العقائد الأفلاطونية ظاهرة في المنظومة الفكرية لحركة «العصر الجديد»، وهي جزء من تكوينها الفلسفي. إلا أن أفلوطين، وفهمه لفلسفة أفلاطون كانت من أبرز المؤثرات الإغريقية - إلى جانب - الـ فيثاغورية - في تشكيل فكر الحركة^(٢).

أفلوطين والأفلاطونية المحدثه (New-Platonism)^(٣):

ظهرت الأفلاطونية المحدثه (مذهب أفلوطين) في العصر الهيليني الذي يمثل الطابع الفكري الناشئ بعد فتوح الإسكندر للشرق، وامتزاج الفكر اليوناني بالثقافة الشرقية. وللعصر الهيليني خصائص تميزه، من أبرزها:

- ١ - العناية بمذهب أفلاطون.
- ٢ - التشبع بالأفكار الدينية والوثنية كالبوذية واليهودية والنصرانية.
- ٣ - انتشار النزعات الصوفية الباطنية والتعلق بالسحر والتنجيم والغيبيات والخوارق^(٤).

لقد أسهمت خصائص العصر الهيليني في تشكيل الأفلاطونية المحدثه التي تعتبر - عند أتباعها - شرحاً لفلسفة أفلاطون. ولكن أفلوطين جنح في شرحه بعيداً عن الفكر الأصلي فاعتبر الباحثون فلسفته مذهباً جديداً أطلقوا عليه: الأفلاطونية المحدثه. وتعتبر من المذاهب الفلسفية المتأثرة بالهرمسية، والفيثاغورية، والديانات الشرقية^(٥).

وقد كان ليهود الإسكندرية لا سيما فيلون (Philo/Philon)^(٦) اليهودي - دور

(١) انظر: مع الفلسفة اليونانية: د. عبد الرحمن مرجح ص ١٣٧.

(٢) انظر: New Age Religion and Western Culture-Wouter J. Hanegraaff: (387-388), and The New Age Movement and the Biblical Worldview-NewPort: 21.

(٣) ويقال: الأفلاطونية الجديدة، والأفلاطونية الحديثة. ومذهب الإسكندرانيين. والذي أثبت هو الأشهر.

(٤) انظر: مع الفلسفة اليونانية: د. عبد الرحمن مرجح ص ٢١٨ - ٢١٩.

(٥) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: ولتر ستيس ص ٣٠٣، وتاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص ٣٢٢، ومع الفلسفة اليونانية: د. عبد الرحمن مرجح ص ٢١٩، و The Western Esoteric Traditions-Nicholas Clark: 21.

(٦) فيلون: أشهر فلاسفة اليهود في القرن الأول للميلاد، ولد في عام ٢٥ ق. م لأسرة نبيلة في الإسكندرية، وأشرب في قلبه حب الفلسفة، حتى لقب بأفلاطون اليهود. حاول

الوساطة في نقل الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية، وهو ما نتج عنه مذهب أفلوطين^(١). ولذلك تعتبر الأفلاطونية المحدثة غنوصية شرقية بشكل يوناني^(٢)، ومن أبرز معتقداتهم ما يلي:

١ - وحدة الوجود: يعتقد أفلوطين بمصدر واحد للوجود كله، وأن العالم هو صورة لذلك الواحد^(٣).

يقول أفلوطين في سداسياته:

«المصدر يحوي كل شيء، ولا يحويه شيء... يملك ولا يُملك... إنه في كل الوجود... وهو في الوقت ذاته موجود، وغير موجود»^(٤).

٢ - الفيض والتولد: يرى أفلوطين أن الوجود فائض عن المصدر الواحد، وأن العقل أول ما صدر عنه، ثم الروح، أو مبدأ الحياة^(٥)، فالكون عنده صادر عن العقل الأول، وهو الذي جاء به إلى الوجود^(٦). يقول أفلوطين:

«المبدأ العقلي - في سكونه الذي لا يخالطه قلق - قد جاء بالكون إلى الوجود»^(٧).

٣ - تناسخ الأرواح^(٨) والخلاص منه: وهنا يختلف أفلوطين عن أستاذه،

= الجمع بين اليهودية والفلسفة فنتج عن ذلك مذهب باطني يفسر التوراة تفسيراً رمزياً، ولا يمت لليهودية بصلة. توفي عام ٢٤٠م.

انظر: مع الفلسفة اليونانية: د. عبد الرحمن مرحبا ص ٢٢٠، تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص ٣٢٢.

(١) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي النشار ١/٧٧، وتاريخ الفلسفة اليونانية: ولتر ستيس ص ٣٠٣، ومع الفلسفة اليونانية: د. عبد الرحمن مرحبا ص ٢٢٠.

(٢) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي النشار ص ١٦٢، ١٨٥.

(٣) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص ٣٢٦، وتاريخ الفلسفة اليونانية: ولتر ستيس

ص ٣٠٣، ومع الفلسفة اليونانية: د. عبد الرحمن مرحبا ص ٢٢٨ و The Western Esoteric

Traditions-Nicholas Clark: 21, and Apologetics in the New Age-Clark & Geisler: 75.

(٤) The Enneads-Plotinus: (5.9) p. 410.

(٥) The Enneads-Plotinus: (1.8) p.26.

(٦) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص ٣٢٧، وتاريخ الفلسفة اليونانية: ولتر ستيس ص ٣٠٥، ومع الفلسفة اليونانية: د. عبد الرحمن مرحبا ص ٢٢٣.

(٧) The Enneads-Plotinus: (2.3) p.162.

(٨) انظر: مع الفلسفة اليونانية: د. عبد الرحمن مرحبا ص ٢٤٠.

فهو يهدف إلى الاتحاد بالمطلق للتخلص من التناسخ - كما هو في الفلسفة الهندية، والاتحاد الصوفي بالإله^(١). يُعرّف أفلوطين هذه التجربة بأنها تحرر العقل من وعيه المتناهي عندما يغدو واحداً، ومتوحداً مع الـ لا متناهي، فتتحرر النفس من عوائق البدن بالإضافة إلى تحررها من عجلة التناسخ، وإعادة الميلاد عن طريق المعرفة الفلسفية، والتأملات العقلية، والفضائل الأخلاقية^(٢).

٤ - تأليه الذات: وهو نتيجة حتمية للاعتقاد بالاتحاد ووحدة الوجود^(٣).

٥ - المعرفة عند أفلوطين: تقوم المعرفة عنده على الحدس، وهو ما يتوصل إليه بالتحرر من سلطة البدن والحواس، ثم بالفكر والتفلسف، ثم بالسمو فوق التفكير؛ ليصل الإنسان إلى المعرفة أو - في الاصطلاح الصوفي - «العلم اللدني»^(٤). كما أن أفلوطين كان يعتقد بالتنجيم والطقوس السحرية ويتبنى التصوف المغالي^(٥)، ففلسفته أقرب للتصوف والأسطورة منها للفلسفة العقلية والمنطق^(٦). وقد بقيت فلسفته متضمنة في الفكر اللاهوتي لحركة «العصر الجديد»^(٧).

المطلب الثالث

الغنوصية

«الغنوص» (Gnosis) هي كلمة يونانية معناها اللغوي يفيد: المعرفة أو العرفان. ومعناها في الاصطلاح: التوصل بنوع من الكشف^(٨) إلى المعارف

(١) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص ٣٢٨، وتاريخ الفلسفة اليونانية: ولتر ستيس ص ٣٠٦.

(٢) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: ولتر ستيس ص ٣٠٦، والتراث المسروق: جورج جيمس ص ٤١.

(٣) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: ولتر ستيس ص ٣٠٥، ومع الفلسفة اليونانية: د. عبد الرحمن مرحبا ص ٢٢٩.

(٤) انظر: دراسات في الفلسفة اليونانية: د. محمد فتحي ود. علاء عبد المتعال ص ١٩٣، و Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: 144.

(٥) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص ٣٢٩.

(٦) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: ولتر ستيس ص ٣٠٣.

(٧) انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: 143.

(٨) الكشف: اصطلاح صوفي يريدون به الاطلاع على المعاني الغيبية والحقائق المحجوبة.

انظر: التعريفات: الجرجاني ص ١٨٤.

العليا والحقائق الكلية بشكل داخلي ذاتي مباشر، لا من خلال الوحي الخارجي، ولا العمليات العقلية. وهي تعتبر - عند أتباعها - أقدم عقيدة في الوجود^(١).

أما «الغنوصية» (Gnosticism) فهي توجه فكري يضم فرقاً متعددة يجمعها الاعتقاد بأن «الخلاص» يكون من خلال العلوم الباطنية الاستسرارية وأحياناً بالاستعانة بالطقوس السحرية^(٢). ولو تتبعنا جذور الغنوصية - كحركة فكرية دينية متعددة الأوجه - لوجدنا أن بداياتها الأولى ظهرت منذ القرن الأول الميلادي، ثم إنها برزت ونشطت في القرنين الثاني والثالث^(٣)، وإن كان بعض الباحثين يرجع أصولها الباطنية إلى ما قبل ذلك بكثير، باعتبار وجود ذلك الفكر في بيئات مختلفة^(٤). فبعضهم يرجع مبادئها إلى الديانة والفلسفة اليونانية القديمة، ويرى أنها أدمجت بالمعتقدات النصرانية، وفسرت النصوص بتفسيرات باطنية لضمان قبول الفلسفة القديمة بين أتباع الديانة الرائجة الجديدة^(٥). وبعضهم يرى أن أصولها تكمن في الفلسفات الشرقية، وتوجهاتها الباطنية^(٦). وكل ذلك قد يصح باعتبار عموم الفكر الغنوصي، ولكن إذا أردنا تخصيصه بالتوجه الباطني الناشئ في النصرانية فإنه لا يوجد دليل على وجود غنوصية تحمل ذات الملامح قبل الغنوصية المسيحية، وإن وجدت جماعات قبلها متفرقة هنا وهناك^(٧). فالغنوصية ليست اسماً لفرقة محددة، بل هي مظلة فكرية تندرج تحتها العديد من الفرق ذات التوجه الباطني المشترك^(٨).

(١) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي النشار ١/١٨٦، وموسوعة لالاند الفلسفية: أندريه لالاند ١/٥١٣، وملامح الفكر الفلسفي والديني في مدرسة الإسكندرية القديمة: د. حربي عطيتو: ٢٦٩، ومقدمة في التصوف: صهيب سمران ص ١٢، و The Western Esoteric Traditions-Nicholas Clark: 27.

(٢) انظر: مذاهب الإسلاميين: د. عبد الرحمن بدوي ص ٧٥٧ - ٧٥٨.

(٣) انظر: ملامح الفكر الفلسفي والديني في مدرسة الإسكندرية القديمة: د. حربي عطيتو ص ٢٦٩، وأصول الصابئة ومعتقداتهم الدينية: عزيز سباهي ص ١٤٢، والمعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية ص ١٣٣.

(٤) انظر: أصول الصابئة ومعتقداتهم الدينية: عزيز سباهي ص ١٤٢.

(٥) انظر: مذاهب الإسلاميين: د. عبد الرحمن بدوي ص ٧٥٨.

(٦) انظر: المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية ص ١٣٣.

(٧) انظر: الوجه الآخر للمسيح: فراس السواح ص ٧٥.

(٨) انظر: ملامح الفكر الفلسفي والديني في مدرسة الإسكندرية القديمة: د. حربي عطيتو ص ٢٧٠.

وأول من أطلق عليها هذا الاسم هو أسقف مدينة ليون بفرنسا، وقد وضع مؤلفاً كبيراً للرد على الغنوصية في أواخر القرن الثاني للميلاد^(١). فالغنوصية اسم علم على اتجاه باطني خاص، لا شك أنه مسبوق بتوجهات شبيهة في بيئات مختلفة.

وعلى أية حال فالغنوصية المقصودة هنا هي تلك التي نشأت في البيئة النصرانية، أما غيرها فتبحث في غير هذا الموضع.

لقد تشكلت النصرانية - كما نعرفها اليوم - في القرن الثاني للميلاد تقريباً حين وجدت صراعات عقدية بين عدد من التوجهات الداخلية، فقررت الكنيسة التي سمت نفسها «الأورثوذكسية» (Orthodox) - أو قويمة الإيمان - اعتماد عدد من الأسفار واعتبارها هي المقدسة، ووصف غيرها بالزيف والضلال^(٢). وقد كان رجال الدين - في تلك الفترة - هم المصدر الوحيد لفهم النصوص المقدسة^(٣).

وفي الفترة الانتقالية من القرن الأول إلى الثاني - وقت تدوين إنجيلي لوقا^(٤) ويوحنا^(٥) - ظهرت الحركة الغنوصية في مصر وسوريا، فظهر توجه باطني فلسفي في الديانة النصرانية استعار فكره من الديانات والفلسفات في البيئة المحيطة، وحاول الجمع بين تلك الآراء الفلسفية الكونية المعقدة، وما عنده من معطيات دينية، فتأثر خواص القوم بالنواحي الفلسفية، وتأثر عوامهم بالسحر والخرافة^(٦).

لم تحمل الغنوصية تنظيماً عقدياً، أو هيكله كهنوتية، وقدمت نفسها على

(١) انظر: أصول الصابئة ومعتقداتهم الدينية: عزيز سباهي ص ١٤٥.

(٢) انظر: الوجه الآخر للمسيح: فراس السواح ص ٥٩.

(٣) انظر: المرجع السابق ص ٦٠.

(٤) لوقا: (Luke) يُعتقد أنه من أصحاب بولس، وأنه كاتب الإنجيل المنسوب إليه في عام ٩٠م تقريباً. وهو رجل يوناني ظهرت آثار ثقافته في كتاباته. ولا يعرف عنه الكثير، إذ ليس عند النصارى علم رجال، ولا توثيق لنقطة الإنجيل. انظر: An Encyclopedia of Religion-Ferm: 455.

(٥) يوحنا: (John) يُعتقد أنه كاتب إنجيل يوحنا - أحد الأناجيل الأربعة - في أواخر القرن الأول للميلاد، عاش في مرحلة لم يسجل فيها التاريخ النصراني، ولا سبيل لمعرفة تفاصيل عنه. انظر: An Encyclopedia of Religion-Ferm: 399.

(٦) انظر: المسيحية نشأتها وتطورها: شارل حنيير ص ١٢٤، والوجه الآخر للمسيح: فراس السواح ص ٦٠ - ٦١.

أنها الممثل الحقيقي للدين العالمي الجديد غير المقيّد بالشرائع، كما أظهرت العداوة للميراث التوراتي، وتصوراته عن «الإله» والإنسان^(١).

لقد كانت الغنوصية لا ترى جدوى طريقة الكنيسة التقليدية في السعي للخلاص وتصنفها بطريقة «العوام»، أو على أقل تقدير ترى تفوّق الطرق الباطنية عليها^(٢). وقد استمر الصراع بين الغنوصية والنصرانية حتى استطاعت الكنيسة في آخر الأمر التغلب على التوجهات الغنوصية مستعينة بالحجج العلمية، والقوة السياسية^(٣). وبذلك لم تعد الغنوصية توجّهاً نصرانياً خاصاً، رغم أنها نشأت في بيئة نصرانية، فمع هجمة الكنيسة عليها تحول الغنوص إلى المعتقدات السرية والخفية - بل الملحدة أحياناً^(٤).

ومن أبرز المعتقدات الغنوصية ما يلي:

(١) التأويل الباطني للنصوص الدينية: ادّعى الغنوصيون أن لديهم تعاليم سرية من المسيح ﷺ، وأنه لا يزال متصلاً بتلاميذه بعد قيامه^(٥). فباتوا يفسرون النصوص الدينية بأهوائهم، ويؤوّلون القضايا العقدية الأصولية عند النصاري. ويرون أن خصومهم - غير العارفين - يقفون عند ظواهر التعاليم الدينية ولا ينفذون إلى الحقائق في باطنها^(٦).

(٢) المعرفة: ترى الغنوصية أن المعرفة تحصل من خلال الرؤية المباشرة للحقيقة^(٧)، فالغنوص هو المعرفة المباشرة بلا واسطة^(٨).

(٣) الإله والعالم: تعتقد الغنوصية بأن «الإله» وجود واحد غير عاقل، صدر عنه وجود زوجي متتابع، كلما ابتعدت عن الوجود الأول ازدادت كثافة. ولما أراد بعضها الترقى إلى «الإله» من غير طريق الغنوص طرد وتكونت منه

(١) انظر: الوجه الآخر للمسيح: فراس السواح ص ٦٠ - ٦١.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٦٤، والمعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية ص ١٣٣.

(٣) انظر: الغنوصية في الإسلام: هانس هالم ص ٥، وأصول الصابئة: عزيز سباهي ص ١٤٥.

(٤) انظر: المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية ص ١٣٣.

(٥) انظر: الوجه الآخر للمسيح: فراس السواح ص ٦١.

(٦) انظر: المرجع السابق ص ٧٠.

(٧) انظر: أصول الصابئة ومعتقداتهم الدينية: عزيز سباهي ص ١٤٦.

(٨) انظر: مقدمة في التصوف: صهيب سمران ص ١٣.

المادة والعالم المادي، وحبست الأنفس في الأجسام. فمن أراد «العودة» إلى الطبيعة الإلهية لزمه الغنوص، فالأصل وحدة وجود والهدف هو الاتحاد. وقد نتج عن هذا المعتقد معتقد فاسد آخر وهو القول بأصلين للوجود، أحدهما خير والآخر شر^(١). بينما ينظر للمسيح في الغنوصية على أنه قوة أزلية غير محدودة^(٢).

(٤) الثنوية (Dualism): إن الوجود - حسب المعتقد الغنوصي - متولد عن «الإله» بطريق الفيض، و«الإله التوراتي»^(٣) ضمن تلك الموجودات الصادرة عن «الإله النوراني» الذي يطلق عليه الرأس الإلهي (Godhead)، وهو بلا اسم، وبلا وصف، وهو مصدر الأرواح. ولكن «إله التوراة» لم يتبع طريق الغنوص، فهو إله ناقص ساقط، أو هو تجسيد للخبث والشر على اختلاف بينهم. وهذا الإله - إله التوراة - هو الذي يُنسب إليه خلق العالم، وابتداع الأديان، والشرائع والتكاليف، بينما «الإله النوراني» لا يكلف الإنسان إلا بمعرفته! ولا بد من عودة الإنسان إلى أصله الذي اقتبس منه حتى يتخلص من مآسي وأدران الدنيا المادية^(٤). ولذلك فإن الغنوصية تحتقر العالم وترفضه^(٥)، وهو ما دعا أفلوطين إلى انتقادهم، والرد عليهم، رغم موافقته لهم في جوانب عدة^(٦).

(٥) تناسخ الأرواح: الغنوصية ديانة خلاص تهدف للتحرر والانعتاق، والصراع الرئيس الذي يخوضه الإنسان هو بين العرفان الذي يقود إلى الخلاص وبين الجهل الذي يبقيه في دور الميلاد والموت. والحكمة الشهيرة المكتوبة على جدار معبد دلفي^(٧): «اعرف نفسك» تتخذ أهمية مركزية في النظم القائمة على

(١) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي النشار ١/١٨٦، ومع الفلسفة اليونانية: د. عبد الرحمن مرحبا ص ٢٣٣.

(٢) انظر: المسيحية نشأتها وتطورها: شارل جنيير ص ١٥٨.

(٣) يسمى الـ ديمبرج (Demiurge)، وهو من اصطلاحات أفلاطون.

(٤) انظر: الوجه الآخر للمسيح: فراس السواح ص ٧٠ - ٧٢، ١٥٣، The Western Esoteric Traditions-Nicholas Clark: (28-29).

(٥) انظر: The Western Esoteric Traditions-Nicholas Clark: 29.

(٦) انظر: أصول الصابئة ومعتقداتهم: عزيز سباهي ص ١٤٤، وملاح الفكر الفلسفي والديني في مدرسة الإسكندرية القديمة: د. حربي عطيتو ص ٢٧٠.

(٧) معبد إغريقي في اليونان.

العرفان وتلخص الطريق المتبع في تحقيق الخلاص^(١).

(٦) تأليه الإنسان: الروح عند الغنوصية صادرة عن «الإله التوراتي» ولكنها ابتعدت عنه بسبب انحباسها في المادة، وبعدها عن الغنوص، فهم يسعون لاكتشاف الإله الذي في «الداخل» وتحريره، ليتحقق لهم الخلاص من خلال التأمل الباطني الصامت^(٢).



تعتبر الغنوصية - إلى جانب الهرمسية والفيثاغورية والأفلاطونية المحدثة - من المذاهب «التلفيقية» (Syncretism)، تجمع بين المعتقدات المتباينة، والأفكار المنتمية لمدارس فكرية متنوعة، وهي ظاهرة نشأت عن الفكر الهيليني، والتفاعل مع المعتقدات الشرقية إثر احتلال الإغريق للعالم الشرقي القديم^(٣). وقد «أفادت الغنوصية من الفلسفة الأفلاطونية الوسيطة التي ميزت بين التفكير العقلي... والخبرة الداخلية الحدسية التي تقود إلى معرفة الله، وتكشف للروح الإنسانية صلتها بعالم الألوهية»^(٤). كما تأثرت الغنوصية بالكتابات الهرمسية، والباطنية الفيثاغورية^(٥).

لقد انتقل الفكر «التلفيقي» عبر الغنوصية إلى عدد من التيارات الباطنية الغربية، حيث أسهمت في تشكيل فكر الـ ثيوصوفي وحركة «الفكر الجديد»^(٦)، ومن ثم فإن الغنوصية - التي جمعت بين الأفكار الوثنية والفلسفات المعقدة في القرون الثلاثة الأولى - تعتبر من أبرز المصادر العقدية لحركة «العصر الجديد» التي اتبعت الأسلوب ذاته^(٧).

(١) انظر: الوجه الآخر للمسيح: فراس السواح ص ١٦١.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٦٥ - ٦٨.

(٣) انظر: أصول الصابئة ومعتقداتهم: عزيز سباهي ص ١٤٧.

(٤) انظر: الوجه الآخر للمسيح: فراس السواح ص ٧٦.

(٥) انظر: ملامح الفكر الفلسفي والديني في مدرسة الإسكندرية القديمة: د. حربي عطيتو ص ٢٦٩، والوجه الآخر للمسيح: فراس السواح ص ٧٦، ومتون هرمس: تيموثي فريك وبيتر غاندي ص ٢٧.

(٦) انظر: Perspectives on the New Age-Kay Alexander: 3.

(٧) انظر: An Overview of the New Age Movement-William A.Reck: (5-6), and Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: 82.

○ الكبالا اليهودية (Kabbalah)^(١):

«كبالا» كلمة عبرية تعني في اللغة: التقليد^(٢)، ويُقصد بها الحدس والذوق الذي يتحقق بالتأمل والإشراق، فتفسر النصوص من خلال الغنوص. فهي - باختصار - الغنوصية اليهودية، وقد دخلت الغنوصية في أعماق الديانة اليهودية حتى إننا لنجد آثار فكرها في التلمود^(٣).

ولكن قبل ذلك بقيت الديانة اليهودية - على ما اعتراها من تحريف - خالية من الفكر الفلسفي الباطني لمدة قرون، ولم يظهر شيء منه إلا بعد أن لجأت جماعات من اليهود إلى الإسكندرية في وقت سيادة الحكم المقدوني على مصر في القرن الأول للميلاد على وجه التحديد. فأقبل اليهود على الثقافة اليونانية، وترجموا التوراة إلى اليونانية، وأصبح كثير منهم يتحدثون بتلك اللغة، ويكتبون بها. وقد كان اليونانيون ينظرون إلى الفكر اليهودي - من خلال التوراة المحرفة - على أنه فكر ساذج خرافي يفتقد إلى العمق الفلسفي، ويجنح إلى التجسيد والمادية. فقام بعض اليهود بمحاولة شرح التوراة شرحاً رمزياً باطنياً، واختلطت اليهودية، بالغنوصية والهرمسية، والأفلاطونية المحدثة. وقد كان أبرز رواد هذا التوجه الباطني هو فيلون اليهودي^(٤).

تشكلت الـ كبالا في القرون الأولى بعد المسيح ﷺ واستمرت بالانتشار حتى القرون الوسطى، ولكنها كانت تقليداً شفهياً استسرارياً لا تلقى مبادئه إلا في حلقات خواص المريدين^(٥)، ولم يُدوّن شيء من فكر الـ كبالا إلا في القرن الثالث عشر للميلاد، عندما كُتبت أبرز التعاليم في كتاب الزُّهار (Zuhar)، فكان

(١) تكتب: Cabala(h) - Cabbala(h) - Qabala(h).

(٢) التقليد (Tradition): مفرد تقاليد، وليس المقصود التقليد بمعنى المحاكاة.

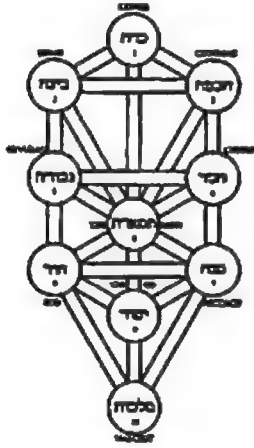
(٣) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي النشار ١/ ١٨٧، و The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 25683.

(٤) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي النشار ١/ ٧١ - ٧٥، وأصول الصابئة ومعتقداتهم: عزيز سباهي ص ٤٣ - ٥٢، وتاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص ٣٢٢، و Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York. 101, and New Age A Guide-Daren Kemp: 41.

(٥) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي النشار ١/ ١٨٧.

الأمر وكأنها ظهرت في ذلك القرن دون مقدمات^(١).

لا تختلف العقائد الكبالية عن أسلافها كثيراً، فهي تعتمد على الغنوص في تحصيل المعارف، وتتأول النصوص الدينية تأويلات باطنية تخرج بها عن مدلولات اللغة، وحيز المعقول^(٢). أما الإله فهو وجود مطلق خالٍ من الصفات كما يرى فيلون، تولّد عنه عشر تجليات يعبر عنها بـ «شجرة الحياة» - ويرمز بأشكال دائرية منتظمة - هي مصدر الوجود المحسوس^(٣). فال كبالا لا تخرج عن السلسلة الباطنية القائلين بوحدة الوجود^(٤)، ويسعى أتباعها للاتحاد بـ «الإله» المطلق من خلال التأمل الباطني، وتحويل الوعي في طقوس تشبه بعض العبادات الهندوسية، والتأملات البوذية^(٥)، وذلك بهدف التخلص من جولان الروح، ودوامة التناسخ. وقد تأثرت الكبالا بالمذهب الفيثاغورسي في تقديس العدد، وتحميله المعاني الرمزية^(٦).



شجرة الحياة والدوائر العشر

تنقسم الكبالا من حيث التطبيق إلى قسمين:

١ - الكبالا العملية: وتتميز بالطقوس السحرية والشعوذة.

٢ - الكبالا النظرية: ويُعبر بها عن المذهب الغنوصي الفلسفي.

غير أن هذين القسمين قلما ينفصلان، وقد تلازما عند الأتباع عبر

(١) انظر: Origins of Kabbalah-R.J. Werblowsky: (3-5). And The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 25683.

(٢) انظر: New Age Encyclopedia: 44-Belinda Whitworth, and The Western Esoteric Traditions-Nicholas Clark: 198 and. The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 25683.

(٣) انظر: Living-Paul Roland: (20-23), and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth.

(٤) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي النشار ٧١/١ - ٧٥، أصول الصابئة ومعتقداتهم: عزيز سباهي ص ٤٣ - ٥٢، وتاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص ٣٢٢.

(٥) انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: 101.

(٦) انظر: Dictionary of Religion & Philosophy-Geddes MacGregor: 443. and New Age Living-Paul Roland: 23.

التاريخ^(١)، فيكون التقسيم موضعاً لجانبى ظاهرة موحدة، لا معبراً عن كائنين متباينين. وقد تأثرت التيارات الباطنية الغربية بكلا الجانبين على حد سواء^(٢). فجماعة «الفجر الذهبي» تعتمد على الـ كبالا في كثير من الطقوس والمعتقدات، وهي تركز في تصورهما الكوني على «شجرة الحياة»^(٣)، وهي من أبرز العوامل المؤثرة في تشكيل الفكر الـ ثيوصوفي^(٤). أما حركة «العصر الجديد»، فلا شك أن الـ كبالا تعتبر جزءاً من منظومة التيارات والديانات الباطنية التي استقت منها الحركة فكرها، وبنت عليها كثير من مبادئها حول الوجود، والإنسان، وتصوراتها عن التحرر والخلاص^(٥).

ولم تعد الـ كبالا في صورتها المعاصرة تحمل - بالضرورة - الملامح اليهودية، ولا يلزم معتنقيها في العصر الحديث التخلي عن معتقداتهم الأصلية^(٦) مما يَسِّرُ توظيفها في الممارسات «الروحانية» البديلة ضمن التطبيقات التي تروج لها حركة «العصر الجديد».

أما في العالم الإسلامي، فقد كانت الـ كبالا اليهودية تسير خفية، فظهرت تحت اسم فرق العيسوية^(٧) التي تعد أصلاً لعدد من الفرق الباطنية المنتسبة إلى الإسلام. وقد دخلت الآراء الـ كبالية في عدد من المتفلسفة الإسلاميين، كما

(١) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي النشار ١/ ١٨٨.

(٢) انظر: New Age Living-Paul Roland: 20.

(٣) انظر: New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 44. and The Western Esoteric Traditions-Clark: 198.

(٤) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي النشار ١/ ١٨٧.

(٥) انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: 101, and New Age Living-Paul Roland 20, and New Age A Guide-Daren Kemp: 41.

(٦) انظر: New Age Living-Paul Roland: 21.

(٧) العيسوية: طائفة تنسب إلى أبي عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهاني، كان في زمان المنصور، وابتدأ دعوته في زمن آخر ملوك بني أمية، واتبعه كثير من اليهود، وادَّعوا له آيات ومعجزات. زعم أبو عيسى أنه نبي، وأنه المسيح المنتظر، وأن الله كلمه ليخلص بني إسرائيل من أيدي الأمم العاصين. كما حرم أكل كل ذي روح، وخالف اليهود في كثير من أحكام شريعة التوراة.

انظر: الملل والنحل: الشهرستاني ص ٢٣٩.

دخلت في بعض فلاسفة التصوف وفي التشيع المغالي^(١).

ولعل من أشهر أتباع مذهب الكبالا في العالم الإسلامي المدعو: ساباتاي زيفي^(٢) (Sabbatai Zevi) الذي ادعى أنه مسيح اليهود المنتظر، ويعتبر يهود الدونمة من أتباعه.

المطلب الرابع

الاتجاهات الصوفية في الإسلام

اختلف في أصل كلمة «الصوفية» أو «التصوف»، فمن قائل إنها عربية، ومن قائل يونانية، ومن قائل غير ذلك. والذين قالوا بالأصل العربي اختلفوا في نسبته على عدة أقوال لا يتسع المقام لذكرها^(٣)، وقد رجح شيخ الإسلام النسبة إلى الصوف، فإن الصوفية أول ما ظهرها كانوا يتعمدون لبس الصوف تزهداً - حسبما زعموا^(٤).

وكما اختلف في النسبة اللغوية اختلف في المقصود بالتصوف، بل إن الصوفية أنفسهم لم يصلوا إلى تعريف محدد لمذهبهم^(٥). والصحيح أن مصطلح التصوف بات من الألفاظ المجملة التي تحتمل أكثر من معنى، ويقصد بها مفاهيم متنوعة. ولذلك كان لا بد من التقديم بالتعريف بأقسام الصوفية في

(١) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي النشار ٨٨/١، و-Origins of Kabbalah R.J. Werblowsky: 245.

(٢) ساباتاي زيفي: يهودي باطني ولد عام ١٦٢٦م، درس الكبالا وتأثر بتعاليمها، وفي عام ١٦٤٨م ادعى أنه المسيح وأصبح له أتباع، ثم أظهر الإسلام في عام ١٦٦٦م خوفاً من قتل العثمانيين. وتحولت معه ٣٠٠ أسرة من أتباعه إلى الإسلام مع بقائهم على اليهودية الباطنية في الباطن، وهم يهود الدونمة.

انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 42329-O.V.

(٣) راجع: التصوف: ماسينون ومصطفى وعبد الرزاق ص ٢٥، ٥١، والتصوف الإسلامي: د. فيصل عون ص ٤٢ - ٤٨، ومقدمة ابن خلدون، ومقدمة في التصوف: صهيب سمران ص ١٨.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى: ابن تيمية ٦/١١.

(٥) انظر: التصوف الإسلامي: د. فيصل عون ص ١٨، ومقدمة في التصوف: صهيب سمران ص ١٩.

الإسلام، أو اتجاهاتها. وهو ما يمكن التعبير عنه بالمراحل الزمنية والفكرية التي مر بها التصوف منذ نشأته، وحتى اليوم.

١ - الصوفية الأوائل: وهؤلاء جمع من العباد والنسك الذين ظهرت فيهم نزعة الزهد ونوع من المبالغة في العبادة والعزلة - مع البعد عن الابتداع السلوكي أو الاعتقادي - كردة فعل للانفتاح المادي الذي عاشه العالم الإسلامي في عصر الفتوحات. وهؤلاء - وإن كانوا أهل فضل - إلا أن حال النبي ﷺ وصحبه ومن كان على نهجهم من التابعين في الجمع بين السعي والعبادة كان أكمل. وهذا الاتجاه ينسب إلى الصوفية تجوُّزاً.

٢ - الصوفية المبتدعة: وقد ظهر هؤلاء في أواخر عهد التابعين، وشاع بينهم الابتداع السلوكي واللفظي.

٣ - غلاة الصوفية: في القرن السابع للهجرة ظهر الانحراف العقدي في التصوف الفلسفي الباطني المغالي حين تسربت إليه الفلسفة اليونانية، وبرزت المدارس الصوفية القائلة بوحدة الوجود^(١)، فكان ابن عربي^(٢) من أبرز من صاغ أصول هذا المذهب^(٣).

فالصوفية - عند الإطلاق - قد تنصرف إلى أي من المعاني السابقة بحسب السياق، أما المقصود في هذا البحث فهو التصوف الفلسفي الباطني، وهو المراد عند إطلاق «الصوفية» حتى نهاية المطلب.

لقد ظهر التصوف في بيئة إسلامية، فاصطبغ بشيء من مفاهيمها ومصطلحاتها ولكنه أبقى على المفاهيم الدخيلة على تلك البيئة، وبنى معتقداته

(١) والمقصود ظهوره كمدرسة أو تيار، وإلا فقد قال بوحدة الوجود عدد من الصوفية المتقدمين، كالحلاج، وأبي يزيد البسطامي، وذو النون المصري وغيرهم.

(٢) ابن عربي: هو محيي الدين أبو بكر بن علي الطائفي، الصوفي المتفلسف، صاحب وحدة الوجود. قال عنه العز بن عبد السلام: شيخ سوء، كذاب، يقول بقدم العالم. من مؤلفاته: فصوص الحكم، مليء بالكفر والباطنية الإلحادية. توفي عام ٦٣٨هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء: الذهبي ٤٨/٢٣.

(٣) انظر: الصوفية نشأتها وتطورها: محمد العبد وطارق عبد الحليم ص ١٥ - ١٩، ٤٠، والتصوف: مصطفى عبد الرزاق ص ٦١ - ٨١، ومقدمة ابن خلدون ص ٥١٧ - ٥٢٧، والتصوف: ماسيتون ص ٤١ - ٤٢.

عليها، فكانت من أبرز تلك العقائد ما يلي^(١):

١ - «الإله» عند أهل التصوف وجود مطلق خال من الصفات، والكون صادر عنه عن طريق الفيض^(٢).

٢ - القول بوحدة الوجود، وما يتبعه من وحدة الأديان، وتأليه الذات. ويظهر شيء من هذا في أبيات ابن عربي الشهيرة:

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني^(٣)

٣ - الفناء: والمقصود هو الفناء عن وجود السوي، وتعبير عن الاتحاد. وهو فناء الملاحدة الذي يتحققون فيه أنه لا موجود لا الله، وأن هذا الكون هو الله^(٤). فإذا بلغ الصوفي منزلة عالية من الترقى، وزعم أنه أدرك أنه لا فرق بينه وبين الإله، تحلل من قيود الشرائع، وادّعى أن التكاليف سقطت عنه^(٥).

٤ - العلم اللدني: فالتصوف هو غنوصية الإسلام، والمعرفة عند الصوفية تكون بالكشف والإلهام^(٦)، وتعتمد على التأويل والرمزية في تفسير النصوص الدينية^(٧).

٥ - الصوفية طائفة باطنية استسرارية، تقصّر تعاليمها على خواص الأتباع

(١) انظر: التصوف: ماسينون: ٣٧، والتصوف الإسلامي: د. فيصل عون ص ٧٥، ١٣٦، وهذه هي الصوفية: وكيل ص ٢٤، ٣٥، ٤٤، ٩٣، ومقدمة في التصوف: صهيب سمران ص ٧١، والصوفية نشأتها وتطورها: محمد العبد وطارق عبد الحليم ص ٥٩، وأصول الفلسفة العربية: يوحنا قمير ص ٥٣، وانظر: د. عبد الرحمن بدوي: شطحات الصوفية.

(٢) انظر: التصوف: ماسينون ص ٤٢، والتصوف الإسلامي: د. فيصل عون ص ٧٣، ومقدمة في التصوف: صهيب سمران ص ٤٩.

(٣) ذخائر الأعلام: ابن عربي ص ٥٠.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى: ابن تيمية ص ٣٣٨/١٠، ومقدمة في التصوف: صهيب سمران ص ٥٧، وأصول الفلسفة العربية: يوحنا قمير ص ٥٣.

(٥) انظر: التصوف: ماسينون ص ٤٦.

(٦) انظر: التصوف: مصطفى عبد الرزاق ص ٨٦، ومقدمة في التصوف: صهيب سمران ص ٣١.

(٧) انظر: التصوف: ماسينون ص ٤١، والتصوف والمتصوفة: عبد الكريم الخطيب ص ١٩٠، ٢٤٤، ومقدمة في التصوف: صهيب سمران ص ٢٣.

وتقوم على الأسرار الباطنية^(١).

٦ - الاعتماد على الرؤى، والخوارق، و«الكرامات» والتعويل عليها في كثير من المعتقدات والعبادات^(٢).

وبذلك تظهر أوجه الشبه بين التصوف في الإسلام وبين ما سبق ذكره من التيارات والديانات الباطنية، وكأنها جميعاً تستقي من ذات المصدر.

ولو تأملنا هذا التصوف «الإسلامي» لوجدنا فيه آثاراً لفكر فيلون اليهودي^(٣)، وبصمات للغنوصية النصرانية - خاصة في عقيدة ابن عربي^(٤)، كما أن تسرب الفلسفة اليونانية إلى العالم الإسلامي قد أسهم في تشكل التصوف الفلسفي^(٥) حيث نجد مبادئ الأفلاطونية المحدثة حاضرة في العقائد الصوفية^(٦).

فالتصوف الفلسفي «يشمل مجموعة مختلطة من التفكير اليوناني - وبخاصة الأفلاطونية المحدثة - والمجموعة الهرمسية، ثم بالتفكير الشرقي الغنوصي... ثم أمشاج من اليهودية والمسيحية والإسلام»^(٧).

انتقل التصوف إلى الغرب في بدايات القرن العشرين^(٨)، ولم يعد بعدها

(١) انظر: التصوف والمتصوفة: عبد الكريم الخطيب ص ٢٨٥، والصوفية نشأتها وتطورها: محمد العبد وطارق عبد الحليم ص ٣٥.

(٢) انظر: التصوف: مصطفى عبد الرزاق ص ٨٦، والتصوف والمتصوفة: عبد الكريم الخطيب ص ٢٨٠، والصوفية نشأتها وتطورها: محمد العبد وطارق عبد الحليم ص ٦٣.

(٣) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي النشار ١/ ١٨٨، والصوفية نشأتها وتطورها: محمد العبد وطارق عبد الحليم ص ٤٠.

(٤) انظر: الوجه الآخر للمسيح: فراس السواح ص ١٨١، ومقدمة في التصوف: صهيب سمران ص ١٣، و Sufism in Europe and North America-David Westerlund: 2.

(٥) انظر: التصوف: ماسينون ص ٣٨ - ٤٠.

(٦) انظر: التصوف الإسلامي: د. فيصل عون: ٧٠، والتصوف: ماسينون ص ٤٨، ومقدمة في التصوف: صهيب سمران ص ١٣، و Sufism in Europe and North America-David Westerlund: 2.

(٧) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي النشار ١/ ٤٧.

(٨) ظهرت البهائية - بالإضافة إلى الصوفية - بالغرب في الستينيات من القرن المنصرم، ولاقت شعاراتها للوحدة والسلام تقبلاً من بعض الغربيين، وتماثلت كثيراً مع حركة «العصر الجديد» في الأفكار. انظر: Catholics and the New Age-Mitch Pakwa: 25 and Another Gospel-Ruth A. Tuckem: 285.

من اختصاص العالم الإسلامي^(١)، فقد تأسست الطريقة الصوفية العالمية (Sufi International Order) في مدينة لندن عام ١٤١١م، وبعدها بأعوام تغير اسمها إلى: الحركة الصوفية العالمية (International Sufi Movement) وهي تحمل الرسالة ذاتها التي تحملها حركة «العصر الجديد» من الدعوة إلى وحدة الوجود، ووحدة الأديان، والممارسات التليفقية والباطنية المتنوعة، ومؤسسوها من الأفراد الفعاليين في حركة «العصر الجديد»^(٢).

إن هجرة بعض رجالات الصوفية إلى البلدان الغربية وعملهم على نشر معتقداتهم - إلى جانب البوذيين والهندوس - مما أسهم في ظهور الفكر الباطني في أوساط المجتمع الغربي المادي ابتداء^(٣)، ولما برزت حركة «العصر الجديد» لاحقاً في الغرب انخرط بعض المتصوفة في ممارسات الحركة، نظراً لما بينهما من التوافق، والانسجام، والأهداف المشتركة^(٤). فنجد من أتباع حركة «العصر الجديد» من يرددون «الذكر» الصوفي، وقيمون الرقصات الصوفية في مراكزهم^(٥)، كما يشير بعضهم إلى الأخذ عن الحُضِر، أو الأقطاب^(٦).

هذا، وقد ميّز بعض الباحثين التصوف الغربي - أو ما يمكن تسميته بالتصوف العالمي (Universal Sufism) - عن التصوف «الإسلامي»، فالأول تليفقي صريح يخلط بين العوامل الهندوسية، والبوذية، والهرمسية، والـ كبالا

(١) New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 204.

(٢) انظر: Sufism in Europe and North America-David Westerlund: (7, 32), and Historical Dictionary of New Age Movements-Michael Youk: (177-178).

وتصفح موقعهم الرسمي على الإنترنت: www.sufiorder.org

(٣) انظر: Perspectives on the New Age-J. Gordon Melton: 20.

(٤) انظر: An Overview of the New Age Movement-William Reck: 4, and Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: (103, 118).

منهم: مروان شريار إيراني، وحضرت عنایت خان، وإدريس شاه.

(٥) انظر: New Age and Neo-Pagan Religions in America-Sarah M. Pike: 153.

وهذه الأذكار الصوفية شبيهة بالأذكار الهندوسية.

انظر: التصوف: ماسينون ص ٤٩، والتصوف الإسلامي: د. فيصل عون: ٧٧، والتصوف نشأتها وتطورها: محمد العبد وطارق عبد الحليم ص ٨٩.

(٦) انظر: Catholics and the New Age-Mitch Pakwa: 121.

وغيرها من المعتقدات الباطنية، بينما التصوف «الإسلامي» يدعي وحدة المصدر^(١). ورغم أن الصوفية في مواطنها الأصلية في عالمنا الإسلامي لا يمكن تصنيفها ضمن تطبيقات حركة «العصر الجديد»، إلا أنها تُعتبر من تطبيقات الحركة عند النظر إلى الصورة الغربية منها^(٢).

المطلب الخامس

الديانات الوثنية الحديثة

«الوثن» في اللغة العربية هو: ما يعبد من دون الله، سواء كان بصورة، أو غير صورة^(٣)، و«الوثني» ترجمة حرفية للكلمة الإنجليزية (Pagan) التي تعني في اللغة: الفلاح أو ساكن الأرياف وهو مصطلح نشأ في أوروبا في العصور الوسطى، أطلقه النصارى على كل من لم يكن من أتباع الديانات الإبراهيمية، خاصة من تمسك بالديانات الإغريقية والرومانية^(٤).

أما «الديانات الوثنية الحديثة» (Neo-Paganism)^(٥) هو مصطلح مظهري يشمل عدداً من الحركات الدينية المعاصرة المتأثرة بالوثنيات المنتشرة في أوروبا قبل تنصُّرها^(٦). وهذه الحركات تتبنى معتقدات متباينة، بعضها حديث المنشأ، وبعضها تجديد لمعتقد قديم.

وتتفاوت من التعددية وحتى الإلحاد^(٧). وأبرزها وأكثرها انتشاراً هي: الويكا (Wicca) والشامانية الحديثة (Neo-Shamanism) والدرويدية الحديثة (Neo-Druidism).

(١) انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: 178.

(٢) انظر: The New Age Movement-Paul Heelas: 55.

(٣) انظر: لسان العرب: ابن منظور ٢١٣/١٥.

(٤) انظر: An Encyclopedia of Religion-Vergilus Ferm: 55.

(٥) تصدر بـ Neo للدلالة على الحدة والطبيعة المعاصرة لهذه الديانات، ثم تلحق باسم الديانة الأصلي التي يزعم أتباعها أنهم يبنون عليها أو يطبقونها. وهذه البادئة تختلف عن كلمة New. انظر:

Modern Paganism-Michael Stmiska: 2.

(٦) انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 168.

(٧) انظر: Modern Paganism-Michael Stmiska: 4.

لقد ظهرت الديانات الوثنية الحديثة أول أمرها في البلدان المتحضرة - في أميركا وبريطانيا تحديداً، ولكن لا بد من التنبيه إلى أن كثيراً من الوثنيين في أوروبا لا ينتمون إلى هذه المنظومة الدينية الحديثة، بل يعتبرون أنفسهم امتداد لسلاسل عريقة، لم يحدث فيها انقطاع، بينما أتباع الوثنية الحديثة يعلمون بأن حركاتهم هي مجرد إحياء لديانات قديمة، وتراث مندثر، لا يربطهم بها أي رابط عرقي، أو ثقافي^(١).

لم تكن الديانات الوثنية الحديثة في معزل عن المؤثرات الخارجية التي أسهمت في تشكيل حركة «العصر الجديد»، فقد تأثرت بالهرمسية^(٢)، وبالفلسفة اليونانية، وديانتها الوثنية^(٣)، وكذلك بالفلسفات الشرقية^(٤).

قد تلبس الديانات الوثنية الحديثة بحركة «العصر الجديد»، وتتداخل كثير من ممارساتهما، فهما - وإن لم يمثلتا تياراً واحداً - يشكلان توجهاً متشابهاً في المعتقد والتطبيق، ويشاركان في كثير من المقاصد والأهداف^(٥)؛ بل إن الديانات الوثنية الحديثة تعتبر من المصادر الفكرية لحركة «العصر الجديد»^(٦).

ومن خلال استعراض خصائص الوثنيات الحديثة تبرز أوجه الشبه بينها وبين «العصر الجديد»، مما حدا ببعض الباحثين أن يجعلهما جزءاً من حركة موحدة هي أكثر اتساعاً وشمولاً. ومن أبرز تلك الملامح:

١ - رفض التدين المنظم، ومساندة حرية الاعتقاد، وخلوها من القيادة المركزية العامة. ومن مقولاتهم الشهيرة: «إن لم يكن هناك ضرر على أحد فاصنع ما شئت»^(٧).

٢ - تبني العقائد الباطنية، لا سيما عقيدة وحدة الوجود^(٨).

(١) انظر: New Age and Neo-Pagan Religions in America-Sarah M. Pike: 19.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٥٩.

(٣) انظر: المرجع السابق ص ١١.

(٤) انظر: Modern Paganism-Michael Stmiska: 28.

(٥) انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: 132.

(٦) انظر: An Overview of the New Age Movement-William A. Reck: 5.

(٧) "If it Harms None, Do What Thhou Wilt" وقد كانت العبارة عند ألستر كرولي وأتباعه: «اصنع ما شئت» بالإطلاق، "Do What Thou Wit".

(٨) انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis:

٣ - الانتقائية والتلفيقية في المبادئ والممارسات، والخلط بين المعتقدات والتطبيقات ذات الأصول المختلفة^(١).

غير أن الديانات الوثنية - في الجملة - لا تتفق مع حركة «العصر الجديد» في قدوم عصر الدلو مثلاً^(٢)، كما أن الحركة تطرح نفسها في مجالات لا دينية، بينما الجوانب العقدية في الديانات الوثنية عادة ظاهرة، ولا يستنكف أصحابها من نسبتها إلى التدين.

وفيما يلي عرض مختصر لأبرز الديانات الوثنية الحديثة:

أولاً: الشامانية (Shamanism) والشامانية الحديثة (Neo-Shamanism):

الشامان (Shaman) كلمة مستعارة من اللغات التركية التي يتحدث بإحداها سكان سيبيريا، وتعني ببساطة: الذي يعلم^(٣). والشامانية بمفهومها الخاص هي ديانة بعض القبائل السيبيرية، وبمفهومها الأعم - وهو المقصود - تُطلق على أي تقليد شعبي يتركز حول شخص يستقي سلطته من ادعائه الاتصال بعالم غيبي، فهو يعالج المرضى، ويتلقى العلوم من خلال نوبات متكررة يغيب فيها عن الوعي^(٤)، فالشامانية هي جملة من المعتقدات الأثرية التي تجعل تحويل الحالة

= 250, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 172, and Wicca's Charm-Catherine Sanders: 63.

(١) توجد بعض التيارات داخل الحركات الوثنية الحديثة التي تحرص على الإتيان الحرفي للديانة الأصلية، فتتبعها تاريخياً وثقافياً، ويتعلم أتباعها اللغات الخاصة بتلك الديانة، ولكن الأغلب لا يكلفون أنفسهم هذه المتاعب. انظر: Modern Paganism-Michael Strmiska: 20.

(٢) انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 167.

(٣) الشامان: قد يكون امرأة أو رجلاً، ويعتبر القائد الروحي للقبيلة، ويتسلم الشامان هذه القيادة عن طريق الوراثة، وأحياناً بسبب ظهور «قدرات خارقة» له في الطفولة، وأحياناً يأخذها من ينجو من مرض عضال حيث تعتبر هذه الأخيرة من العلامات الدالة على اختيار شخص ما للطريقة الشامانية.

انظر: New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 198.

(٤) وصف الشامان في بعض المجتمعات بأنهم يعانون من أمراض نفسية، كالجنون، والهلوسة، والفصام. بل قام الاتحاد السوفيتي - زمن وجوده - باضطهاد الشامان وإبعادهم باعتبارهم مجرمين دجالين أو مخربين مجانين! انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 250.

الذهنية والوعي وسيلة للتداوي، وتحقيق الشفاء الروحاني. وهي بذلك تشمل ديانات قبائل الإسكيمو، والمايا، والهنود الحمر، وغيرهم ممن يتبنون ما يشبه هذا التقليد^(١).

ورغم وجود «الشامانية» - بمفهومها العام - في أنحاء مختلفة من العالم، إلا أنها قد لا تحمل الاسم نفسه^(٢)، فهي لا تعتبر ديانة مستقلة قائمة بذاتها، بل توجد متلبسة بديانات وثنية أخرى. وليست الشامانية معروفة عند أهلها الأصليين بهذا الاسم، وإنما هم يعرفون الـ«شامان» أو الحكيم، ويدينون بديانات متنوعة^(٣). ولذلك لا يمكن أن نحدد للشامانية طقوساً متفقاً عليها أو عقيدة موحدة أو حتى مؤسساً وتاريخ نشأة^(٤)، ولكن ثمة خصائص مشتركة تجعلنا نصنف توجهاً ما ضمن المفهوم العام للشامانية، يمكن تلخيصها في ما يلي:

- ١ - الاعتماد على الخوارق في شفاء الأمراض والأسقام.
- ٢ - دعوى الاتصال بالعوالم الغيبية غير البشرية.
- ٣ - الغياب عن الوعي حال العمل، أو الدخول في نوبات من الشرود والإغماء^(٥).
- ٤ - دعوى تحصيل المعارف ذاتياً، وعدم الاعتراف بأي كهنوت، أو كتاب مقدس^(٦).
- ٥ - الرؤية الـ«أرواحية» (Animistic) للعالم؛ حيث تعتبر الطبيعة حية ذات أرواح يمكن للـشامان التخاطب معها، وتحصيل علوم الاستشفاء، والسحر، والكهانة^(٧).

(١) انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: 164, and The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 247.

(٢) New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 198.

(٣) انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 248.

(٤) انظر: المرجع السابق ص ٢٤٧.

(٥) تشبه أحوالهم أحوال من يُظن أنهم يعانون من المس.

(٦) انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 248.

(٧) انظر: New Age Living-Paul Roland: 32, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 198, and The New Age Movement and the Biblical Worldview-NewPort: 232.

وفي المقابل، نجد ما يسمى بالشامانية الحديثة أو شامانية «العصر الجديد» التي تمثل الصورة الغربية المتمدنة لهذا التقليد البدائي، وهي تختلط بتطبيقات حركة «العصر الجديد» كغيرها من الديانات الوثنية الحديثة، وتعتبر من المصادر العقدية للحركة^(١).

انتقلت الشامانية إلى الغرب في منتصف القرن العشرين عندما ذهب مايكل هارنر (Michael Harner) أستاذ الأنثروبولوجيا الأميركي إلى الأمازون ليسكن مع بعض القبائل الهندية هناك، ويتعلم منهم أسرار الشامانية مباشرة. ولأنه لا بد لمن أراد التواصل مع «الأرواح» أن يأتي بما يمكنه من ذلك، كاستخدام الأعشاب المثيرة للهلوسة، قام رجال القبيلة بإقناع د. هارنر باستخدام تلك الأعشاب. فلما تناولها ادّعى أنه رأى كائنات مخيفة ورجال برؤوس كرفوس الطيور، وغيرها من الأشكال الغريبة، غير أنه لم يعرها أي اهتمام واعتبرها خدعة عقلية، ولكنه لما التقى بأحد رجال الشامان قدم له وصفاً مطابقاً لما رآه هارنر، فاقتنع بالفكر الشاماني، وتبناه، وقام بتأليف عدد من الكتب حول كيفية دمج الممارسات والمعتقدات الشامانية في الحياة العصرية وأصبح يلقي المحاضرات في الموضوع ذاته، وهو مما أدى إلى ظهور الشامانية الحديثة في أوروبا وأمريكا، حيث أصبحت تمارس الطقوس الشامانية ضمن تطبيقات الطب البديل^(٢)!

لقد أسس هارنر (مؤسسة هارنر للدراسات الشامانية)، التي تركز على التوجهات الشامانية في الثقافات العالمية، وتعتبر من مصادر الإلهام الفكري للديانات الوثنية في الولايات المتحدة^(٣). وللشامانية الحديثة عدد من المراكز

(١) انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: 164, and New Age and Neo-Pagan Religions in America-Sarah M. Pike: 74, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 198 and The New Age Movement-Paul Heelas: 22, and Another Gospel-Ruth Tucker: 341, and Encyclopedia of New Age Beliefs-Ankerberg & Weldon: 357.

(٢) انظر: New Age Living-Paul Roland: 32, and The New Age Movement and the Biblical Worldview-NewPort: 232, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 198.

(٣) انظر: The New Age Movement and the Biblical Worldview-NewPort 233.

المنتشرة في أوروبا وأمريكا^(١).

تقدم الشامانية الحديثة نفسها كمنظومة من التقنيات التي يمكن أن تستخدم في الاستشفاء البدني والنفسي بوسائل يسهل توظيفها في حياة الأميركي، أو الأوروبي المعاصر^(٢)، فقد اتبعت الطريقة الانتقائية التي حولت التقليد الأصلي إلى مبادئ يمكن استخدامها عالمياً^(٣). وهي - مع ذلك - احتفظت ببعض الملامح الأصيلة، إذ تقوم على ممارسة الوسائل التي تسلب الوعي، كالتأمل الباطني، والمواد المخدرة، والرقصات المسعورة، ولكن تجعله وسيلة لحل المشاكل العصرية والاستشفاء ولا تهدف إلى اختصاص الشامان بأي سلطة، ولا تحظى بالدعم القبلي بخلاف التقليد القديم^(٤). ورغم وجود من قد يمارس الشامانية وفق أصولها الخرافية البدائية دون تغيير، إلا أن أغلب ممارسي الشامانية في الغرب يخلطونها ببعض المفاهيم المعاصرة، وبالعلم والطب الحديث^(٥).

وفي أميركا - خاصة - يعتمد الشامان الجدد على التقاليد الدينية للهنود الحمر كمصدر للتعليم والمعرفة^(٦)، ويتلقون تدريبهم على ممارسي الـ هونا^(٧).

(١) انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: 166.

تصفح، على سبيل المثال:

www.shamansociety.org

www.thefourwinds.com

(٢) انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 250.

(٣) Modern Paganism-Michael Stmiska: 20.

(٤) انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: 165.

(٥) انظر: Encyclopedia of New Age Beliefs-Ankerberg & Weldon: 357.

(٦) وتعتبر لين أندروز (Lynn Andrews) من أشهر الشامان في أميركا اليوم. انظر:

Evangelizing the New Age-Paul McGuire: (28-30), and Another Gospel-Ruth A. Tucker: 341.

(٧) الهونا: فلسفة حول قوى العقل البشري وكيفية تفاعلها مع قوى الطبيعة، وهي جزء من

«الفكر الجديد» اقتبست من الديانة المحلية لسكان جزر الهاواي. ولها سبعة مبادئ كلها

بارزة في حركة «العصر الجديد»:

○ أن العالم الخارجي هو ما يعتقله الإنسان.

○ لا يوجد حدود، ولا فواصل تفصل بين الإنسان ومحيطه؛ لأن الكل واحد.

○ الطاقة تسرى إلى حيث يوجهها الانتباه.

(Huna) في جزر الـ هاواي، وهي التي تستقي منها حركة «العصر الجديد» بعض أساليبها في الاستشفاء وتبديل الوعي.

وتحسن الإشارة إلى استياء كثير من الهنود الحمر من التطبيقات المعاصرة لتقاليدهم القديمة، وطقوسهم الدينية، والتي تروج لها حركة «العصر الجديد» والديانات الوثنية الحديثة حيث يرون أن هؤلاء إنما يقدمون صورة مشوهة لتراثهم، وهم قد سرقوا أرضهم من قبل، ثم هم الآن يسرقون ثقافتهم؛ ليتجروا بها، ويستجلبوا بها الأموال^(١).

ثانياً: الـ ویکا (Wicca):

«ويكا» كلمة إنجليزية قديمة تعني: السحر، وهي اليوم تطلق على الديانة الحديثة التي جددت التقاليد السحرية القديمة في الغرب^(٢)، والـ ویکا هي أشهر الديانات الوثنية المعاصرة وأكثرها أتباعاً^(٣).



شعار الـ ویکا

يعتبر الساحر الإنجليزي هيرالد غاردنر (Gerald Gardner) من أبرز مجددى الممارسات والعقائد السحرية في العالم الغربي، وهو الذي أطلق عليها اسم «ويكا» في خمسينيات القرن العشرين. ورغم أن وجود السحر والسحرة سابق لظهور الـ ویکا ولا يزال له وجود مستقل عنها، إلا أن السحرة المعاصرين يتميزون بالانتقائية، والتلفيق الديني والعقدي، مما جعل الـ ویکا تصنف على أنها من تفرعات

= ○ اللحظة هي مصدر القوة، لا قوة في الماضي، ولا في المستقبل.

○ المحبة تعني: السعادة في التناغم.

○ جميع القوى تنبع من الداخل، وكل قوة يظهر أنها تسيطر على الإنسان من خارجه ليست سوى وهم.

○ التأثير أو النفع هو معيار الحقائق.

انظر: Whole Life Times: Kuhuna: There Are No Limits-Art Kunkin: 7.

(١) انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: 130.

(٢) انظر: Wicca's Charm-Catherine Sanders: 4, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 234..

(٣) انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 286.

حركة «العصر الجديد»^(١) ويجتهد أتباع الحركة في إظهارها كتقليد عريق يعاني من الظلم، والنظرة السلبية المصحفة، بينما هي - في نظرهم - ممارسات بريئة^(٢). وتطلق الـ ويكا في الولايات المتحدة إطلاقاً واسعاً على عدد من الديانات السحرية المتنوعة، بينما ينحصر إطلاقها في أوروبا على مدارس سحرية محددة هم في الغالب من أتباع غاردنر^(٣).

أما الهيكل التنظيمي للـ ويكا فيتشكل من جماعات صغيرة تسمى: (Coven) يترأسها «كاهنة عليا» (High Priestess) أو كاهن^(٤)، ويقومون بأعمال السحر من عطف، وصرف، وغيرها باستدعاء «الأرواح»^(٥) التي ليست سوى شياطين الجن. وتدون تلك الطقوس والأعمال السحرية في كتاب يسمونه: «كتاب الظلال» (Book of Shadows) وهو إما خاص بالساحر أو بالمجموعة. وهذا الاسم يستخدم كثيراً عند الوثنيين الجدد، ويقصدون به سجلات طقوسهم المختلفة^(٦). لا يستخدم أتباع الـ ويكا مصطلحات صريحة، أو عبارات مباشرة في التعبير عن معتقداتهم، ولذا يلزم استنباطها من أقوالهم وكتاباتهم، ومن أبرز تلك المعتقدات ما يلي:

١ - الاعتقاد بوحدة الوجود وتأليه الذات، وأنه لا حد لقدرات البشر.

٢ - إمكانية التواصل مع العوالم الغيبية من خلال السحر^(٧).

(١) انظر: Historical Dictionary of New Age Movements-Michael York: 199, and The New Age Movement and the Biblical Worldview-NewPort: 234, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 234.

(٢) انظر: New Age Living-Paul Roland: 36.

وقد أصبح بعضهم يطالب بأن يسمح لهم بالتطوع كمرشدين روحيين مكان القساوسة في المستشفيات والسجون!

انظر: The New Age Movement and the Biblical Worldview-NewPort: 235.

(٣) انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 287.

(٤) انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 286.

(٥) انظر: New Age Living-Paul Roland: 37, and The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 254.

(٦) انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 27.

(٧) انظر: Wicca's Charm-Catherine Sanders: (5-6).

- ٣ - الاعتقاد بالعناصر الأربعة^(١).
 - ٤ - الثورة على ما أسموه «الإله المذكر» وتأليه المؤنث. وهو ما اجتذب أتباع الحركة النسوية^(٢)، فالويكا ديانة جل أتباعها من النساء^(٣).
 - ٥ - تعظيم الطبيعة والإلهة الأم.
 - ٦ - يعتقد بعضهم بالتناسخ^(٤).
- كما يحتفل أتباع الـ ويكا بأعياد السحرة في أوروبا القديمة، ويعتبر يوم الهالوين (Halloween)^(٥) الموافق ٣١ من شهر أكتوبر من أهم أعياد السحرة في الغرب، خاصة في إنجلترا، وهو من أعياد عبدة الشيطان الجدد^(٦) كذلك^(٧).
- هذا، وإن أخطر رسالة تبعثها الـ ويكا هي تحييد النظرة تجاه السحر، فالسحر - عندهم - إن لم يوصف بالخير فإنه لا يوصف بخير، ولا بشر، إذ هو مجرد وسيلة تقع الصفة على الفاعل لا عليه. فلو استخدم في الشر كان فاعله هو

(١) انظر: New Age Living-Paul Roland: 37.

(٢) انظر: Wicca's Charm-Catherine Sanders: 51, and The New Age Movement and the Biblical Worldview-NewPort: (236-239).

(٣) انظر: New Age Living-Paul Roland: 37.

(٤) انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: (193-195).

(٥) هالوين : هو عيد مأخوذ عن القبائل الكلتية (Celts) في أوروبا، يحدد أحد رأسى السنة عندهم، وكانوا يعتقدون أن الحاجز بين العالم الغيبي والعالم المشهود يتقلص في ذلك اليوم، فتخرج الأرواح من أهل الخير والشر إلى الأرض. كان بعض الناس يرتدون الأقنعة، ويوقدون الشموع لطرد تلك الأرواح الشريرة. وهذا العيد اليوم يمارسه اللادينون، ولكنه لا يزال مشبعاً بالرموز والإشارات الوثنية. انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 235.

(٦) عبدة الشيطان : هي طائفة متمردة على الكنيسة، ظهرت في أوروبا في القرن الثاني عشر للميلاد، ولا زال لها أتباع خاصة في الولايات المتحدة، ويمكن تقسيمها إلى «مؤمنة» وملحدة. أما «المؤمنة» فهي تؤمن بوجود الشيطان المذكور في الديانات السماوية وتعبده، وأما الملحدة فلا تؤمن بالإله ولا بالشيطان وإنما تتسمى بهذا الاسم إمعاناً في مخالفة الدين، وتمرداً على كل الثوابت، وهؤلاء في الواقع يعبدون أهواءهم والشيطان، من حيث لا يشعرون. انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 43249.

(٧) انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 44.

المتصف بالشر وليس السحر^(١)، وفي هذا مخالفة صريحة للنصوص الشرعية الإسلامية الدامة لعموم السحر بلا استثناء، ولا قيد.

ثالثاً: الدرويدية الحديثة (Neo-Druidism):

الدرويد (Druids) هم أفراد الطبقة الكهنوتية، والقادة الروحانيون لبعض القبائل الكلتية (Celts) في أيرلندا^(٢)، ولا يعرف الكثير عنهم حيث لم يعثر على شيء من آثارهم، فقد كانت تعاليمهم استسارارية، يتناقلونها شفهاً، ويحرمون كتابة شيء منها. وجل ما نعلمه عنهم مأخوذ عن بعض الكتاب اليونانيين والرومان^(٣)، فوصفهم بالاهتمام بالسحر والتنجيم^(٤) وتقديس الأرقام على الطريقة الفيثاغورية^(٥).

أما الدرويدية الحديثة فليس لها تعلق مباشر بالقبائل الكلتية، ولا بثقافتهم، وأول ظهورها كان في أواخر القرن الثامن عشر، ولكنها لم تشكل فعلياً وتتحدد معالمها إلا في نهاية القرن التاسع عشر على يد عدد من الأتباع بناء على ما يُذكر عن الدرويد الأصليين وهو ما لا يمكن التأكد من صحة نسبته. ومن أهم هؤلاء الكاتب الإنجليزي روس نكلز (Ross Nichols)^(٦) صاحب هيرالد غاردنر^(٧).

(١) انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 23. وقد درج استخدام لفظ السحر الأبيض للتعبير عن السحر الذي لا يضر والأسود للذي يستخدم في الشر، ولا فرق بينهما في الشريعة الإسلامية فالسحر كله شر.

(٢) انظر: Wicca's Charm-Catherine Sanders: 4, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 89.

(٣) انظر: The Celts-Peter Ellis: 17, and The Skeptics Dictionary-Todd Wilbur: 114.

(٤) انظر: The Celts-Peter Ellis: 115.

(٥) انظر: المرجع السابق.

(٦) روس نكلز: أحد أبرز مؤسسي الروحانيات الطبيعية في العصر الحديث، ولد عام ١٩٤١م. تخرج روس من جامعة كامبرج وكان له اهتمام بالسحر، والعلوم النفسية، والأديان. التقى بهيرالد غاردنر في عام ١٩٣٩م فأسس غاردنر الويكا وأسهم روس في تشكيل الدرويدية الحديثة محاولاً تقريبها إلى أصولها الكلتية. انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 189.

(٧) انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 82, and New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 90..

ومن أبرز معتقدات الدرويدية الحديثة وأكثرها شيوعاً بين أتباعها ما يلي:

١ - تعظيم الطبيعة وتقديسها باعتبارها تجسيدا للإله^(١).

٢ - تعظيم الأسلاف وعبادتهم.

٣ - تناسخ الأرواح^(٢).

وعلى كل حال، فإن الدرويدية الحديثة كغيرها من الديانات الوثنية الحديثة تتصف بالتلفيق والانتقائية، ولها جماعات كثيرة قد تتنوع تفاصيل معتقداتهم ويختلف بعضها عن الآخر^(٣).

إن بين الدرويدية الحديثة والويكا المعاصرة أوجه شبه لا يمكن إنكارها. فكلتا الديانتين نشأ خلال القرن الماضي وكان المؤسسان لهما أصدقاء، فهم يعظمون أشياء متشابهة ويستقون من التقاليد السحرية الغربية. ولكل من الديانتين مراسم تأهيل تتكون من ثلاث مراتب، كما يحتفل كل منهما بثمانية أعياد، ويأخذ الجميع عن الأساطير الأيرلندية والإنجليزية^(٤).

ويعتبر عيد سَوِين (Samhain) - وهو ما يعرف اليوم بالهالوين - من الأعياد التي يحتفلون بها. ولهم اجتماع سنوي عند معلم ستون هنج (Stonehenge) في

صيف كل عام^(٥). فالاعتقاد السائد أن الدرويد الأصليون هم من أقام تلك النصب، وهو تصور يشكك كثير من المؤرخين في صحته التاريخية. ولكن ذلك لم يؤثر على أتباع الدرويدية كثيراً، فهم مرتبطون بهذا



(١) انظر: Modern Paganism-Michael Strmiska: 88.

(٢) انظر: New Age Encyclopedia-Belinda Whitworth: 90.

(٣) تصفح بعض مواقعهم الرسمية:

www.adf.org

www.druidry.org

www.druidry.co.uk

(٤) انظر: The Encyclopedia of Modern Witchcraft and Neo-Paganism-Rabinovitch & Lewis: 82.

(٥) انظر: The Celts-Peter Ellis: 173.

المعلم منذ بدايات القرن العشرين، يعقدون حوله احتفالاتهم، ويجعلونه موضعاً لتأهيل أفراد جماعاتهم، وقيمون عنده طقوسهم رغم تحفظ السلطات الإنجليزية على تلك التجمعات^(١).

المبحث الثاني

الفلسفات الغربية الممهدة لموقف

حركة «العصر الجديد» من الأخلاق والقيم والحقائق

إن حركة «العصر الجديد» لا تعتمد على مصدر ثابت وموحد في تحديد ما يعتقدونه حقيقة، فالحقيقة نسبية ذاتية، تختلف باختلاف حاملها، وكذلك الفضائل والقيم^(١).

وهذه الحركة الغربية المولد والمنشأ - رغم تأثيرها الواضح بفلسفات خارجية - لم تخرج عن السياق الفكري للمدارس الفلسفية في الغرب، حيث مرت تلك الفلسفات بمراحل متتالية هيأت العقلية الغربية لتقبل ما تدعو إليه حركة «العصر الجديد»، فتجد لمواقفها جذوراً في ثقافتها المحلية.

وفي هذا المبحث سيتم استعراض جانب من تطور الفكر الفلسفي الغربي، وتتبع جذور موقف حركة «العصر الجديد» من الأخلاق، والحقائق، والقيم؛ لتتضح القاعدة التي انطلقت منها الحركة من بين المدارس الفكرية المتباينة التي

(١) يأتي تفصيل موقف حركة «العصر الجديد» من الحقائق والقيم في الباب الثاني عند الحديث عن معيار القيم.

قد يصل اختلافها إلى حد التناقض في بعض الأحيان، وذلك من خلال الحديث عن مرحلتين مهمتين من تاريخ الفكر الغربي، هما:

○ تراجع استقلالية «الوحي»^(١) في تحصيل المعارف العقدية، وسيادة «العقل» على الدين.

○ سيادة النسبية الذاتية في الموقف الغربي من الأخلاق والقيم.

المطلب الأول

تقلص استقلالية «الوحي» كمصدر للاعتقاد،

وسيادة «العقل» على الدين

يمكننا تقسيم المعارف البشرية إلى معارف غيبية ومعارف طبيعية. أما المعارف الغيبية فإن الأديان - في الجملة - تعتمد في تحصيلها على مصادر فوق بشرية، ولا تفترض إمكانية التوصل إليها من طريق البشر استقلالاً، وإن كانت قد لا تنكر وجود مصادر داعمة للمصدر الرئيس.

وفي الشرع الحنيف تتحدد مصادر التلقي - لمسائل الاعتقاد - في مصدرين رئيسيين، هما: الكتاب والسنة^(٢)، أما العقل والفطرة فمساندان لهما وشاهدان. وعليه، فإنه لا يمكن استبعاد الوحي في تقرير أيٍّ من قضايا المعتقد. فإن قيل: كيف ذاك والعقل - مثلاً - قد يستقل في معرفة بعض العقائد المجملة، كوجوب وجود خالق للكون، أو لزوم إقامة البعث والحساب؟ قيل: هذا على سبيل الإمكان، وليس شيء من التكليف منوط به. ولو أن إنساناً لم يتوصل إلى هذه المعارف بعقله في أوقات الفترة، لما كان ملوماً على ذلك حتى يأتيه قبس من الوحي، أو يمتحن في المعاد. فالإمكان شيء، والاعتبار شيء آخر، وإذا سلمنا بقدرة العقل - أو الفطرة - على معرفة شيء من العقائد فإن ذلك لا يعني اعتباره

(١) أستخدم لفظ «الوحي» هنا باعتبار معتقد القوم، وإلا فمن المسلم به أن ما يعتقدونه وحياً ليس وحياً خالصاً، بل هو مشوب بالتحريف، والنصحيف، والزيادات البشرية.

(٢) أضاف بعضهم إجماع السلف، وهو ما لا يُتصور خروجه عن الكتاب والسنة، وبعضهم رأى التقييد بفهم السلف، غير أن «فهم السلف» أقرب إلى منهج التلقي منه إلى كونه مصدراً.

مصدراً صحيحاً لتلقي الاعتقاد، فضلاً عن كونه مصدراً مستقلاً، أو حتى مشاركاً للوحي.

وهكذا كان النهج السائد في العالم الغربي كذلك، فالمسائل الاعتقادية وما له تعلق بالذات الإلهية والمسائل الغيبية بقي من اختصاص الدين، ومن أراد الاطلاع على شيء من ذلك لجأ إلى الكنيسة أو الكتاب المقدس، كما بقيت العلوم الطبيعية خارج هذا النطاق^(١).

أما الفلسفة الغربية فكانت لها مجالاتها الخاصة، ولم تكن تخوض في مسائل الدين - إلا ما كان على وجه الإنكار في بعض الأحيان. فنجد تبايناً ظاهراً بين مواضيع الفلسفة ومواضيع الدين، هذا باستثناء الفلسفات الباطنية والغنوصية في القرون الأولى - إن صحت نسبتها إلى الفلسفة الغربية، فهي كالفلسفة الشرقية التي كانت مختلطة تماماً مع الديانات المحلية، كما كان هذا الاتجاه موجوداً عند الإغريق قديماً عندما تحدثت الفلاسفة عن الإلهيات بشكل مستقل عن الدين، واستحدثوا معاني جديدة ليست مأخوذة عنه^(٢).

كل ذلك لم يكن حاصلاً بين الدين والفلسفة الغربية حتى القرن الثالث عشر، عندما بدأ القديس النصراني توما الأكويني^(٣) (Thomas Aquinas) بتقديم بعض الأفكار الغربية عن الكنيسة والمتأثرة بالمنطق العقلي والفلسفة اليونانية، فأصبح يقيم الحجج «المنطقية» ليتوصل بها إلى الذات الإلهية، والما وراثيات، إلى جانب الطرق التقليدية، لا كبديل عنها. ولذلك يعتبر الأكويني من أول الذين قدموا المنطق الأرسطي للغرب، وأدخله في الدين المسيحي^(٤).

(١) انظر: An Intellectual History of Modern Europe-Ronald Stomberg: 7.

(٢) كالوجوس (Logos) والدميرج (Demiurge). انظر:

تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم، ونشأة الفكر الفلسفي: د. عبد الرحمن بدوي.

(٣) توما الأكويني: فيلسوف لاهوتي ولد في عام ١٢٢٥م في إيطاليا، ودرس في فرنسا وأصبح يدرس في الجامعات.

كان له اهتمام بالفلسفة اليونانية وكتابات أرسطو، وهو أول من أدخلها إلى الديانة المسيحية. له عدد من المؤلفات منها: شرح أعمال أرسطو. توفي عام ١٢٧٤م. انظر:

الله في فلسفة القديس توما الأكويني: د. ميلاد غالي: ١٣، و An Encyclopedia of Religion-Vergilius Ferm: 34.

(٤) انظر: اتجاهات الفلسفة المعاصرة: أميل برييه ص ٧٠، والله في فلسفة القديس توما

لم يكن الأكوييني - فيما يبدو - يقصد إلى إبعاد «الوحي» - أو الدين - عن الميدان الميتافيزيقي واتخاذ الوسائل البديلة فيه، ولكنه كان ذا اهتمام بالفلسفة، فأحب أن يوظفها في الإطار الديني الكنسي. ولكن هذه الفكرة استغلت في الفلسفة الغربية ووطورت بعيداً عن ما كان يقصد إليه الأكوييني، وأخذت منحى آخر تماماً، فأصبحت القضايا «الدينية» تُناقش بعيداً عن أطر الدين، وأقحمت القضايا الغيبية والعقدية في الدراسات العقلية والمنطقية، وغيرها من الأدوات المستقلة كلياً عن «الوحي»، فظهرت تصورات عن «الإله» غريبة عن التصور الديني التعبدى. لقد أصبحت تلك الدراسات شبيهة بالفكر الحر^(١) (Free Thought) حيث أصبح الإنسان هو مناط الحقائق، وإليه ترجع^(٢).

وهذا التوجه - بلا شك - مهّد لمثيلات حركة «العصر الجديد» ونظرتها «التأليهية» للذات البشرية، مع غياب المرجع الديني الضابط، إذ أصبح الإنسان هو مصدر المعرفة وطالبها.

وفي بداية القرن السابع عشر قرّب ديكارت (Descartes)^(٣) الفكر الغربي إلى مبدأ الاستغناء عن «الوحي» في إدراك الحقائق الغيبية، وأسهم في هدم مقومات الدين إن ادعى غير ذلك، فديكارت لم يكن في واقعه ملحداً بل كان وجود الإله إحدى يقينياته الثلاث، وقد كان يصف نفسه بالإيمان^(٤). ولكن مذهبه في الشك القائم على الفكر المجرد جعل يقينه بالإله قابلاً للجدل.

= الأكوييني: د. ميلاد غالي ص ٩، وتطور الفكر الغربي: مجموعة باحثين ص ١٥٢.
(١) الفكر الحر: هي فلسفة تقرر أن الحقائق لا بد أن تستند إلى العلم التجريبي، أو المنطق، أو العقل، لا إلى الموروثات الثقافية، أو الدين. ولا ينبغي أن تتأثر بالسلطة. وجدت هذه الأفكار في ديانات وفلسفات كثيرة وظهرت في أميركا في القرن التاسع عشر، فتبنت آراء يسارية وليبرالية متطرفة. انظر: The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 18193-O.V.

(٢) انظر: The Implications of New Age Thought-Imnhid Helene Hom: 69.

(٣) ديكارت: يلقب بأبي الفلسفة الحديثة ورائدها، ولد في فرنسا عام ١٥٩٥م. كان رياضياً متميزاً، وابتكر الهندسة التحليلية. له عدد من المؤلفات، منها: مقال في المنهج، وتأملات في الفلسفة الأولى. توفي عام ١٦٥٠م.

انظر: تاريخ الفلسفة الغربية: برتراند رسل ص ١٠٤، ورواد الفلسفة الحديثة: ريتشارد شاخت ص ١٤.

(٤) انظر: مبادئ الفلسفة: ديكارت ص ١٤ - ٢١، وتطور الفكر الغربي: مجموعة باحثين ص ٢٥٠.

إن العقل عند ديكارت هو سبيل الوصول إلى الحقائق، والفكر - في نظره - غير قابل للشك، ولكن لا بد من تفريغ الذهن كلياً من كل تصور، أو فهم، أو معتقد سابق، ومن ثم عرضه على العقل من جديد؛ لتتم تنقية تلك المعتقدات من مسلمات الموروث الثقافي^(١). فهو بذلك يجعل العقل مصدراً للاعتقاد، وحاكماً عليه من حيث الصحة والبطلان، ويؤسس للفكر البعيد عن الاعتماد على النصوص الدينية. فكل ما لا يثبت في العقل لا يثبت في الواقع، بل إن ديكارت يثبت وجود ذاته بناء على عمل فكره، حتى قال مقولته الشهيرة: «أنا أفكر إذاً أنا موجود»^(٢)!

مهّد فكر ديكارت لعدد من الفلسفات الغربية التي تقوم على استقلالية العقل في تحصيل الحقائق، إلا أن من أهمها في فهم فكر حركة «العصر الجديد» هي فلسفة سبينوزا^(٣) (Spinoza) نظراً لقيامها على عقيدة وحدة الوجود المركزية في فكر الحركة. لقد حاول سبينوزا الترويج لتلك العقيدة الباطلة بأن عرضها كنظرية فلسفية خاضعة للعقل والمنطق!

فهو يعتمد في إثبات معتقده على منطق ديكارت، وإن كان أبعد في فهم الفلسفة الديكارتية، وحملها معاني باطنية أكثر عمقاً من مقاصد ديكارت في الظاهر. ولذلك تُشَبَّه العلاقة بين سبينوزا وديكارت بتلك التي بين أفلاطون

(١) انظر: تاريخ الفلسفة الغربية: برتراند رسل ص ١١٣، وقصة الفلسفة الغربية: د. يحيى هويدي ص ٥٢.

(٢) مقال في المنهج: رينيه ديكارت ص ٢١٤.

وذلك مبني على مذهبه في الشك، حيث يطبق الشك على كل ما في الوجود من ماديّات وعقائد، ولكنه يقول: لا يمكن أن أشك في أنني أشك، وجعل الشك بمعنى الفكر، والذي يفكر موجود ولكنه لم يجعل الوجود نتيجة للتفكير. فكان هذا هو اليقين الأول عند ديكارت. أما اليقين الثاني عنده فوجود الإله والثالث وجود العالم.

انظر: قصة الفلسفة الغربية: د. يحيى هويدي ص ٥٣.

(٣) سبينوزا: هو باروخ سبينوزا فيلسوف هولندي من أصل يهودي ولد عام ١٦٣٢م، وطرد من الكنيس بسبب اعتقاده بوحدة الوجود. أكد دور العقل في الأخلاق، وما وراء الطبيعة. وقد اتهم بالإلحاد رغم الصبغة الدينية التي ظهرت في بعض كتاباته. ومن أشهر مؤلفاته: كتاب الأخلاق. توفي سنة ١٦٧٧م.

انظر: تاريخ الفلسفة الغربية: برتراند رسل ص ١٢٠، ورواد الفلسفة الحديثة: ريتشارد

وأفلوطين من بعده^(١).

ف ديكارت عزل الإلهيات عن «الوحي»، وأناطها بالعقل، وسينوزا وظف الدلالات العقلية في تدعيم فلسفته الباطنية.

يقول سينوزا في كتابه: «الأخلاق» معبراً عن نتيجة منهجه في الاعتقاد بالإله:

«أعني: بالإله كائناً لا متناهياً إطلاقاً»

ثم يوضح هذه العبارة قائلاً:

«أقول: لا متناهياً إطلاقاً، لا في ذاته فحسب؛ لأن ما يكون (لامتناهياً) في ذاته فحسب إنما نستطيع أن ننفي عنه عدداً لا محدوداً من الصفات. أما ما يكون لا متناهياً إطلاقاً، فكل ما من شأنه أن يعبر عن ماهية من الماهيات - من غير أن ينطوي على أي نفي - إنما هو ينتمي إلى ماهيته»^(٢).

وكما كان سينوزا حينذاك يحتج بالمنطق والفلسفة على عقائده الباطنية، تحاول حركة «العصر الجديد» اليوم تدعيم المعتقد ذاته بتفسيرات خاطئة للفيزياء الحديثة، والعلوم التجريبية المعاصرة التي هي فلسفة هذا العصر، ومنطقه.

وبعد أن أبعد الدين عن تقرير العقائد، وأقحمت نصوصه في مجالات العقل والمنطق، جاء كانت^(٣) ليعبث بها مرة أخرى، فيؤكد على استبعاد «المنطق» من الدين حيث إنه من غير الممكن التحقق من المواضيع الميتافيزيقية أو معابيتها، فجعل المصدر البديل عن ذلك: المعرفة الحدسية الباطنية التي تنظم العمليات العقلية^(٤). ورغم أنه زعم أنه أراد تعزيز مفهوم «الإيمان»^(٥) أصبحت

(١) انظر: علم الأخلاق: سينوزا ص ٤٠، وتاريخ الفلسفة الغربية: برتراند رسل ص ١٢٢ - ١٢٣، ٣١٧، ورواد الفلسفة الحديثة: ريتشارد شاخ ص ١٠٢، و Apologetics in the New Age-Clark & Geisler: 93.

(٢) علم الأخلاق: سينوزا ص ٣٠.

(٣) كانت/كنط: هو إيمانويل كانت، فيلسوف ألماني ولد عام ١٧٢٤م، وسيطرت فلسفته على القرن التاسع عشر برمه. توصف فلسفته على أنها مثالية نقدية. توفي عام ١٨٠٤م. انظر: رواد المثالية في الفلسفة الغربية: د. عثمان أمين ص ٥٧.

(٤) انظر: قصة الفلسفة الغربية: د. يحيى هويدي ص ٧٧، والدين والسلام عند كانط: د. فريال خليفة ص ١٤، ورواد المثالية في الفلسفة الغربية: د. عثمان أمين ص ١٠١.

(٥) يعني: الإيمان المفرد غير المرتبط بالمقدمات والنتائج العقلية، أو المنطقية.

أفكاره داعمة للنزعات الإنسانية في الفكر الغربي من بعد^(١). كما أن استبداله المنطق بالحدس مهد لفكرة النسبية في المعرفة.

ورغم أن حركة «العصر الجديد» تعارض الفكر العلماني الذي دعا إليه كانت في الجملة، إلا أنها تؤيد فكرة الاستقلالية الذاتية، وتوافقها في فكرة تخلص إدراك الإنسان من أي سلطة خارج نفسه^(٢).

ثم في عصر التنوير (Age of Enlightenment)^(٣) أعلن المفكرون استقلالية العقل التامة عن الدين و«الوحي» في التوصل للحقائق، وتخلصه من أي رواسب لسلطة الإنجيل أو الكنيسة. وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر بالتحديد، ظهر ما يسمى بـ«التأليه الطبيعي» (Deism)^(٤) - أو المذهب الربوبي - في إنجلترا والولايات المتحدة، وانتشر في أوساط النصارى الذين رفضوا العقائد النصرانية، كالتثليث، والخوارق، وتأليه المسيح مع إيمانهم بوجود «إله»، مما جعلهم في قنطرة بين التدين والإلحاد^(٥). وقد نبعت كثير من الأفكار العلمانية^(٦) من تلك الفلسفات المنحرفة.

لا يؤمن أصحاب «التأليه الطبيعي» بالوحي، ولا يمكن - في اعتقادهم - التوصل إلى وجود الكائن الأول بغير الطرق العقلية^(٧). ومن أبرز المبادئ التي يقوم عليها هذا التوجه ما يلي:

(١) انظر: تاريخ الفلسفة الغربية: برتراند رسل ص ٣١٦، وتطور الفكر الغربي.

(٢) انظر: The New Age Movement-Paul Heelas: 37.

(٣) عصر التنوير: هو تعبير عن مرحلة في الفلسفة الغربية أثرت في النواحي العلمية، والاجتماعية، والثقافية، تركزت في القرن الثامن عشر الميلادي، وتميزت بسيادة المنطق والعقل كمصدر للحقائق والأحكام. يعتبر كل من سبينوزا، وكانت من أشهر فلاسفة هذا العصر ويمكن تتبع بداياته إلى كتابات ديكارت. واستمر قرناً من الزمان تقريباً. انظر: An Encyclopedia of Religion-Vergilius Ferm: 250.

(٤) التأليه الطبيعي: ويسمى أحياناً «الإلهية» أو «الربوبية» أو المذهب الربوبي.

(٥) انظر: The Columbia History of Western Philosophy-Richard Ppokin: 437.

(٦) العلمانية: هي الـ لا دينية أو الدنيوية وهي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي، والعقل، ومراعاة المصلحة بعيداً عن الدين، وعزله عن مناحي الحياة. وتعني في الجانب السياسي إبعاد الدين عن الحكم. ظهرت في أوروبا في القرن السابع عشر للميلاد كردة فعل لطغيان الكنيسة. وانتقلت بعدها إلى كثير من البلدان العربية والإسلامية منذ بداية القرن التاسع عشر. انظر: An Encyclopedia of Religion-Vergilius Ferm: 700.

(٧) انظر: موسوعة لالاند الفلسفية: أندريه لالاند ٢٥٨/١، An Encyclopedia of Religion-Vergilius Ferm: 221.

○ الاعتقاد بوجود كائن أعلى هو علة الوجود، وإطلاق عدة تسميات: الكائن الأعظم، إله الطبيعة، المهندس الأعظم للكون.. وهكذا، مع تجنب المصطلحات الدينية في نعته.

○ أن الكائن الأسمى لا يتدخل في مجريات الكون وليس له ارتباط مباشر بالبشر. والمجريات الأرضية تجري ضمن قوانين كونية ثابتة، لا دخل للإله فيها بعد إيجاده لها.

○ أنه ليس إلهاً «مُشَخَّصاً»^(١) (Personal God)، بمعنى أن له ذاتاً مستقلة مביانة لبقية الموجودات.

○ تعظيم الحرية البشرية ورفض جميع أشكال التدين المنظم^(٢).

هذا بالإضافة إلى المبادئ التي أبرزت في هذا العصر في غير دائرة «التأليه الطبيعي»، كمبدأ العقل البشري المستنير، والاستقلالية الأخلاقية، ونظريات التطور لتحقيق الكمال البشري.

إن هذه المبادئ - بلا شك - خطوة عريضة في تهيئة العقل الغربي لتقبل الأفكار المتنوعة في ما يخص الإلهيات والروحانيات «البديلة»، فهي تجردها تدريجياً من المصادر الثابتة الموحدة - بغض النظر عن صحة تلك المصادر - وتجعلها طليقة بلا قيد ظاهر، تتخبط فيها عقول البشر، أو تخوض فيها ميولهم وأهواؤهم «الحدسية»، وهذا أخطر على الفكر الديني من مجرد الاعتماد على مصادر مختلة أو محرفة.

وقد أسهمت تلك النزعات الإنسانية، والمبادئ الفكرية في عصر التنوير في تقديم التراث الإغريقي والروماني للغرب من جديد، وما يتبعه من تعظيم العقل الإنساني، والاعتقاد به. ومع ردة الفعل العنيفة ضد الكنيسة أصبح «العقل» - عندهم - هو رائد البشرية، وقدم الغرب «المنطق العقلي» على المعتقدات الدينية - التراثية على الأقل. غير أنه نتج عن هذا الانطلاق الفكري عدد من التوجهات

(١) مشخص: أو شخصي، وهي كلمة تقابل كلمة personal، ويقصد بها الإله العالم المُدرك والمباين. أما في حال فقدانه لإحدى الصفتين، أو كليهما فلا يعود إلهاً مشخصاً أو شخصياً. انظر: An Encyclopedia of Religion-Vergilius Ferm: 302.

(٢) انظر: Dictionary of Religion and Philosophy-Geddes MacGregor: 174.

التي لا علاقة لها بالعقل، وهي مما مهد لظهور فكر حركة «العصر الجديد»، كالاتقاد بوحدة الوجود، أو الاتقاد بـ«الروحانية» في مقابل الدين.

المطلب الثاني

سيادة النسبية الذاتية في الموقف الغربي من الأخلاق والقيم

لم يظهر البحث في موضوع «القيم» كمبحث مستقل من مباحث الفلسفة الغربية الحديثة إلا في القرن التاسع عشر للميلاد^(١)، كما تختلف المساحة التي يشغلها هذا الموضوع بحسب الفيلسوف، ومدى اهتمامه بالقيم من المنظور الفلسفي، فمنهم من أسهب في الحديث عنها، ومنهم من اختزلها في مواضع يسيرة، ومنهم من لم يصرح بشيء تجاه هذا الموضوع، وإنما استنبطت آراؤه من خلال تحليل مواقفه من المشكلات الفلسفية الأخرى^(٢).

وعند تأمل الطابع العام للفلسفة الغربية، يبدو أن ثمة نزاعاً بين أصحاب الأخلاق والقيم الموضوعية الثابتة من أتباع المذاهب العقلية و«الحدسية»، وأصحاب الأخلاق الذاتية من أتباع المناهج الحسية والتجريبية. فقد كانت الفلسفة الغربية في أول أمرها تصنف الأخلاق على أنها مطلقة الحقيقة والمصدر، ولكنها تحولت فيما بعد إلى النظرة النسبية المتغيرة للأخلاق والقيم. ولعل هذا التحول يتضح - بإذن الله - باستعراض المسائل التالية:

- النظر في بداية التحول من المطلقية إلى النسبية الذاتية في الموقف الغربي من الأخلاق والقيم.
- ومن ثم استعراض بعض النماذج التي توضح هذا التحول متمثلة في: الحركة الرومانسية، والفلسفة الوجودية، والحداثة، وما بعد الحداثة.

المسألة الأولى: بداية التحول من المطلقية إلى النسبية الذاتية في الموقف

الغربي من الأخلاق والقيم

يرجع القول بنسبية القيم والأخلاق إلى زمن بعيد، يسبق ظهور الفلسفة الغربية الحديثة بقرون عديدة، إلى القرن الخامس قبل الميلاد بالتحديد، ومع

(١) انظر: نظرية القيمة في الفكر المعاصر: د. صلاح قنصوة ص ١١.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٣٢.

الفلسفة السفسطائية^(١). لقد قام المذهب السفسطائي على الجدل، وزعزعة المبادئ الأخلاقية والاجتماعية، وجعل السفسطائيون من الإنسان مقياساً لكل شيء، فأصبحت الحقائق - في نظرهم - راجعة إليه، والقيم والأخلاق عرفية، وضعية، نسبية تتغير بتغير الظروف. وقد كان هذا التوجه ناتجاً عن ردهم المعرفة إلى الحس، مما يبطل القول بمبادئ موضوعية في مجال الأخلاق الذي لا يخضع - بالضرورة - للحس^(٢).

وكذلك كان الأمر عند فيثاغورس من قبلهم، فمقاييس الأشياء والسلوك عنده ليست ثابتة مطلقة، وإنما هي نسبية متغيرة^(٣).

أما عند كبار الفلاسفة اليونان كأفلاطون - مؤسس الفلسفة المثالية - فقد كانت الأخلاق مطلقة^(٤)، وقد استمر هذا التصور في الفلسفة الوسيطة، وبعض توجهات الفلسفة الحديثة^(٥).

ويمكن توضيح المواقف الفلسفية المجملة من الأخلاق من خلال التقسيم التالي:

١ - موقف المثاليين: وهذه التوجهات ترى أن مصدر القيم خارج عن الإنسان، وهي عامة ثابتة مطلقة، لا تتباين، ولا تتعدد. ويكون هذا المصدر إما

(١) السفسطائية: هو مذهب فلسفي قام على الجدل والمغالطة، ووقفوا عليه جهدهم كله، خرجوا من مدارس فلسفية متنوعة، لا يرمون لغير تخريج تلاميذ يتقنونه. وكان السفسطائيون يتجرون بالعلم، مما أورثهم التحقير في عصر سقراط وأفلاطون. انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص ٥٧، وتاريخ الفلسفة اليونانية: ولتر ستيس ص ٩٧.

(٢) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: ولتر ستيس ص ٩٧، والتطور والنسبية في الأخلاق: حسام الألوسي ص ٨٤، والقيم في الإسلام: صلاح الدين بيسوني ص ٤٤ - ٥٥.

(٣) انظر: مع الفلسفة اليونانية: د. عبد الرحمن مرحبا ص ٩٠.

(٤) لقد تم تجاوز سقراط - رغم أنه مؤسس الفلسفة الأخلاقية في العالم الغربي - لصعوبة تحديد رأيه الأخلاقي بكل دقة، وحيث إنه ليس له كتابات وقد كثرت حوله الأساطير.

انظر: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة: أندريه كريسون ص ٧١.

(٥) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: ولتر ستيس ص ١٤٣ - ٢٠٨، والتطور والنسبية في الأخلاق: حسام الألوسي ص ٨٥، والمشكلة الأخلاقية والفلاسفة: أندريه كريسون ص ٨٥، والقيم في الإسلام: صلاح الدين بيسوني ص ٥٦.

العقل أو الحدس. فعند الطبيعيين تكون القيمة في مطابقة الطبيعة العضوية والنفسية، وهنا مطابقة الطبيعة المثالية للأشياء والأفعال^(١). ويمثله أفلاطون قديماً، وكانت حديثاً^(٢).

٢ - موقف الطبيعيين^(٣): تتفق مواقف الطبيعيين جميعاً على تحليل الفاعلية الإنسانية إلى عناصر بسيطة، واختزالها إلى وحدة تجريبية يسهل إخضاعها للمقاييس المشاهدة والتجربة، فيردون القيم إلى القوانين التي تحكم الكيان العضوي، وأهمها - عندهم - «قانون التطور» وما يلزم عنه من القول بالانتخاب الطبيعي، والبقاء للأصلح^(٤).

فخلاصة قولهم: أن القيم تخضع للقانون الطبيعي. وهذان الموقفان يمثلان النظرة المطلقة للأخلاق والقيم.

٣ - الموقف النفعي: يجعل القيمة وسيلة للمنفعة^(٥). وتحتة تندرج عدد من التيارات التي ترى نسبية الأخلاق.

يشير بعض الباحثين إلى أن المنظومة الأخلاقية والقيمية في الغرب - قبل عصر التنوير - كانت ذات مصدرين لم يكن بينهما تعارض ظاهر، هما: الأخلاق الدينية وأخلاق التأمل العقلي^(٦):

١ - فلسفة الأخلاق العقلية: يرى أرسطو أن «الفضيلة» هي نتيجة أداء الشيء لوظيفته. فالعين تمتدح إذا كانت باصرة؛ لأن وظيفة العين هي الإبصار. والإنسان له وظيفة خاصة به لا تتحقق له السعادة إلا بأدائها، وهذه الوظيفة يمكن أن تعرف من خلال «المنطق» الذي يكتسبه الإنسان من خلال الدربة

(١) انظر: نظرية القيمة في الفكر المعاصر: د. صلاح قنصوة ص ٢٠٩.

(٢) انظر: رواد المثالية في الفلسفة الغربية: د. عثمان أمين ص ٧.

(٣) الطبيعيون: وهم جمع من فلاسفة اليونان المتقدمين الذين يرون أن لا شيء وراء الطبيعة، وأن الطبيعة هي أصل الوجود، فمن قائل إن الأصل الماء، ومن قائل هو الهواء، ومن قائل غير ذلك. أشهر أتباع هذه المدرسة طاليس أبو الفلسفة اليونانية.

انظر: الملل والنحل: الشهرستاني ص ٣٧٠، وتاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ص ١٢.

(٤) انظر: نظرية القيمة في الفكر المعاصر: د. صلاح قنصوة ص ١٩٨ - ١٩٩.

(٥) انظر: نظرية القيمة في الفكر المعاصر: د. صلاح قنصوة ص ٢١٢.

(٦) انظر: After Virtue-Alasdair Machntyre: (55-59).

والتعويد على يد معلم خبير، ومن ثم يتمكن من تمييز الفضائل بعقل واع. فالإنسان يمر بمراحل ثلاث: مرحلة النقص والجهل، ومرحلة الكمال، وبينهما الوسيلة الموصلة، وهي: تطبيق الفضائل والأخلاق.

٢ - الأخلاق الدينية: طبقت الكنيسة فكرة المراحل الثلاث كذلك، إلا أن مرحلة الكمال أرجئت إلى الآخرة، وحُدد الجهل والنقص بالذنوب والخطيئة، والوسيلة بينهما هي التعاليم الإنجيلية التي تمثل القيم والأخلاق الدينية، وهي معلومة المصادر في الكنيسة^(١).

هذه الفكرة في صورتها الدينية وصورتها الـ «لا دينية» جعلت وسيلة تحقيق الكمال ثابتة ومشتركة وقابلة للمعرفة والتحديد. فالمصدران اللذان حُددتا لتحصيل الكمال. (الدين والعقل)^(٢) فيهما تحديد للأخلاق والقيم بشكل مطلق، ومصدرها واحد إما الدين وإما العقل المنطقي، فهي واحدة لا تتنوع، ولا ترجع إلى الآراء والأهواء الفردية.

ولا شك أنه سيكون ثمة تعارض واختلاف يسير في تحديد القيم، حتى في الأوساط «الدينية»، وعند أنصار الفلسفة العقلية، نظراً للاختلاف الوارد في تأويل النصوص، وتحديد النتائج العقلية عند تطبيقها في الواقع. وهذا لا يضر في تصنيف الأخلاق والقيم إلى مطلقة ونسبية، إذ المعتبر في القيم المطلقة تحديد مصدر موحد، ومعيار ثابت يُلزم الجميع بالتسليم له، بينما لا يعترف القائلون بنسبية القيم بوجود أي معيار لها خارج الذات البشرية، فالمعيار يتغير بتغيير الأشخاص، وبتغيير الأماكن والأزمان.

(١) علماً أنه وجد من يعارض القول بمطلقية القيم - حتى في ذلك الزمن المبكر من الفلسفة الغربية - كسينوزا مثلاً، ولكن المقصود إبراز التيار السائد في تلك المرحلة.

انظر: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة: أندريه كريسون ص ١٧٤، ٢١١.

(٢) نلاحظ هنا أن العقل حدد في فلسفة أرسطو بالعقل الخاضع إلى المنطق، وهو ما يناله الإنسان عن طريق التلقي، ولذلك اعتبرت الوسائل عندهم ثابتة، والقيم مطلقة. ولو رددنا القيم إلى العقل البشري دون تقييده بشرط التلقي لما صح تصنيفها على أنها مطلقة - بل هي إلى النسبية أقرب - نظراً لتفاوت العقول واختلافها فيما هو أقل من ذلك.

علماً أن المقصود هنا ليس تصحيح المصدر، فكلا المصدرين المذكورين (العقل المنطقي والدين الكنسي) باطل، وإنما المقصود تحديد المصادر التي تنضبط فيها القيم، بغض النظر عن صحتها بالجملة.

وفي عصر التنوير تمثلت الأخلاق «العقلية» في عدد من الفلاسفة الذين تبنا مبدأ المطلقية في الأخلاق، رغم ضبابية أقوالهم. وقد صُنف ديكارت بأنه من رواد هذا المنهج العقلي في الأخلاق، حيث جعلها من ثمرات الفلسفة، ولكنه اعتقد أنها ثمرة لا تُنال إلا في مراحل متقدمة^(١). يقول ديكارت:

«مثل الفلسفة كمثل شجرة جذورها الميتافيزيقيا، وجذعها العلم الطبيعي، وأغصانها بقية العلوم، وهذه ترجع إلى ثلاثة كبرى، هي: الطب، والميكانيكا، والأخلاق. والأخلاق العليا الكاملة التي تفترض معرفة تامة بالعلوم الأخرى، والتي هي آخر مرتبة من مراتب الحكمة»^(٢).

إن هذين المصدرين للقيم - الدين والعقل - لم يسلما من المعارضة، وانتقدها عدد من رواد الفلسفة الغربية الحديثة باعتبار أنه لا يمكن إثبات صحتها. فانتقد إيمانويل كانت - مثلاً - المنطق المحض^(٣) رغم اتفاقه مع أرسطو على رفض المصدر الديني، حيث اختلف معه في إمكانية معرفة «الفضيلة» بناء على الأسس العقلية، وفي أنها معنى مطلق يمكن تطبيقه على الجميع^(٤). كما أن القيم الأخلاقية عند كانت تستمد أصلها بصفة أولية من الحدس، وغريزة إنسانية شائعة، وهي منوطة بإرادة الخير (Good Will) بصرف النظر عن النتائج.

يقول كانت في: (تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق):

«لا شيء يمكن عده خيراً على وجه الإطلاق، ودون قيد، إلا شيء واحد هو: الإرادة الخيرة»^(٥).

ولا تعلق للأخلاق والقيم عنده باللاهوت أو الدين أو أي أمر خارق،

(١) انظر: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة: أندريه كريسون ص ٢٠٩، فلسفة ديكارت ومنهجه: د. مهدي فضل الله ص ١٦٧.

(٢) مبادئ الفلسفة: ديكارت ص ٣٤.

(٣) راجع: نقد العقل المحض: كانت.

(٤) انظر: التطور والنسبية في الأخلاق: حسام الألوسي ص ٨٤، ١٢٧، ونظرية القيمة في الفكر المعاصر: د. صلاح فنصوة ص ١١٣، والمشكلة الأخلاقية والفلاسفة: أندريه كريسون ص ١٥٩، ١٨٣، ٢٣٩، ورواد المثالية في الفلسفة الغربية: د. عثمان أمين ص ٧٣.

(٥) انظر: تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق: كانت ص ٣٧.

فالأخلاق قد يستدل بها على الإله، ولكن لا يستدل بالإله عليها^(١).

إن كانت لم ينكر - في الواقع - وجود إله، ولم يقل بالنسبية الصريحة في الأخلاق، ولكن قوله في انعدام المعيار وإرجاعها إلى غريزة باطنة لا يمكن أن تقاس هي الأخرى، أو تنضبط أسهم في إضعاف القول بالمصدر الثابت، ومهد للقول بالنسبية وفتح له الطريق.

لقد برزت في القرن التاسع عشر تيارات ترفض كل طرح للقيم المطلقة بحجة استحالة إيجاد معيار موضوعي يمكن من خلاله اختبارها، وظهرت فكرة الحقائق النسبية والتسوية بين الأخلاق العرفية، وبين القاعدة الأخلاقية الثابتة^(٢).

وقد تجلّى هذا التوجه في عدد من المدارس الفكرية التي تشكلت بداياتها في أواخر عصر التنوير، منها: الرومانسية، والوجودية، والحدائث.

المسألة الثانية: الرومانسية (Romanticism)

لقد ظهرت الحركة الرومانسية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر كردة فعل للمبادئ الأرسطية، والعقلانية المجردة، والتجريبية المغرقة الشائعة في عصر التنوير^(٣).

أما من حيث نظرتها للقيم فالرومانسية تعتبر ثورة على المعايير الأخلاقية السائدة في عصرها^(٤)، جاعلة المقياس هو الجمال والذوق، فكانت الانطباعات الأولى والأحكام الغريزية والانفعالات البدائية هي التي تحدد الفضائل والحقائق^(٥)، وهي بلا شك مقاييس نسبية تختلف من شخص إلى آخر، ومن مجتمع إلى مجتمع.

كما تميزت الرومانسية بالنزعة الذاتية، والحنين إلى البدائية والسذاجة، مع رفضها للواقع وازدراؤه. ثم إنها ادعت أن الشرائع والتقاليد والعادات هي السبب

(١) انظر: نظرية القيمة في الفكر المعاصر: د. صلاح قنصوة ص ١٠٩، وتاريخ الفلسفة الغربية: برتراند رسل ص ٣٢٣، والدين والسلام عند كانط: د. فريال خليفة ص ١٤.

(٢) انظر: اتجاهات الفلسفة المعاصرة: أميل برييه ص ٦٨.

(٣) مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة: د. محمد مهران ص ٢٥.

(٤) انظر: تاريخ الفلسفة الغربية: برتراند رسل ص ٢٧٤.

(٥) انظر: مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة: د. محمد مهران ص ٢٦ - ٢٨.

في فساد المجتمعات، ولذا ينبغي السعي في تحطيمها! ولما فشلت الحركة في تقديم البدائل لإصلاح المجتمع أغرقت في الخيال، وجنحت نحو العواطف غير المنضبطة.

لقد وظفت الرومانسية الأفكار الكانتية^(١) في نظرتها للتدين، وأضافت إليها لمسات باطنية^(٢) فجعلوا المعتقد مبني على الإيمان المجرد والحدس وليس على المنطق، أو العقل^(٣).

يرى روسو^(٤) (Rousseau) - أحد رواد الرومانسية - أن الإنسان إذا اعتمد على العقل شك في وجود الإله، وإذا اعتمد على عاطفته وشعوره الحدسي أصبح متيقناً من وجوده، فانفعالات القلب - عنده - هي مصدر العقائد^(٥).

لم تكن النظرة النسبية للأخلاق والقيم هي وجه الشبه الوحيد الذي تشترك الرومانسية فيه مع حركة «العصر الجديد»، بل تتجاوز ذلك إلى أوجه متعددة، ألخص أبرزها فيما يلي:

- تأثرها بعدد من التوجهات الباطنية القديمة؛ كالأفلاطونية المجددة^(٦)، والغنوصية^(٧)، والفلسفة الشرقية - بل ربما كان الرومانسيون من أوائل الغربيين الذين تأثروا بالفكر الشرقي^(٨). كما تأثرت ببعض التوجهات الباطنية المتأخرة نسبياً، كالمزمرية، والمذهب الروحي.
- أثارت الحركة الرومانسية الاهتمام بالخوارق، والسحر، والأمور الغامضة^(٩).

(١) نسبة إلى إيمانويل كانت.

(٢) انظر: مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة: د. محمد مهران ص ٢٥.

(٣) المرجع السابق ص ٢٧.

(٤) روسو: هو جان جاك روسو فيلسوف سويسري ولد في جنيف عام ١٧١٢م، تأثرت آراؤه السياسية بالثورة الفرنسية وهو من أشهر فلاسفة الحركة الرومانسية، ويؤمن بالتدين العلماني. له عدد من المؤلفات والروايات. توفي عام ١٧٧٨م. انظر: An Encyclopedia of Religion-Vergilius Ferm: 671.

(٥) انظر: تاريخ الفلسفة الغربية: برتراند رسل ص ٢٩٧ - ٣٠٠.

(٦) انظر: New Age Religion and Western Culture-Wouter J. Hanegraaff: 419.

(٧) انظر: الوجه الآخر للمسيح: فراس السواح ص ١٥٣.

(٨) انظر: The New Age Movement-Paul Heelas: 55.

(٩) انظر: The Western Esoteric Traditions-Nicholas Clark: 191.

- نجد في الرومانسية ميلاً إلى الروحانيات الذاتية المستقلة عن الدين التقليدي^(١).
- تشبه الرومانسية - في زمنها - حركة «العصر الجديد» من حيث تعطشها للعودة إلى الطبيعة، واهتمامها بقضايا التلوث والبيئة.
- وكان للرومانسية اهتمام بتحويل الوعي من خلال المواد المخدرة والمفترة^(٢).
- وإن كانت الروحانيات الرومانسية - في العموم - لا تعدو كونها اعتقادات تقليدية يغلب عليها الطابع النصراني من وجهة نظر حركة «العصر الجديد»^(٣).

المسألة الثالثة: الوجودية (Existentialism)

- الوجودية مذهب يقوم على إبراز الوجود الفردي وخصائصه، ويؤمن بالحرية المطلقة التي تمكن الفرد من أن يصنع نفسه بنفسه، ويشكل وجوده على النحو الذي يلائمه^(٤)، وقد ظهرت - كالرومانسية - كردة فعل على «عصر العقل»^(٥).
- إن الإنسان في الوجودية هو الحكم في كل شيء، ولا بد أن يتمتع بكامل الحرية^(٦)، ومن تلك الحرية تُستلهم القيم. يقول سارتر^(٧) (Paul Sartre) - الرجل الأول في المذهب الوجودي - بأن الحرية هي «المصدر الوحيد لكل قيمة»^(٨).

(١) انظر: The Western Esoteric Traditions-Nicholas Clark: 191.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٦٧.

(٣) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٤) انظر: معنى الوجودية: مجموعة باحثين ص ٢٧، وتاريخ الفلسفة الحديثة: يوسف كرم ص ٤٣٩، والمعجم الفلسفي: جميل صليبا ٥٦٥/٢.

(٥) انظر: مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة: د. محمد مهران ص ٩١.

(٦) انظر: الوجودية مذهب إنساني: سارتر ص ٢٥، والاتجاهات المعاصرة في الفلسفة: د. عبد الفتاح الديدي ص ٢١٤.

(٧) سارتر: هو جين بول سارتر كاتب وفيلسوف وجودي فرنسي ملحد، ولد عام ١٩٠٥م، أحب الماركسية ودافع عنها رغم انتقاده لبعض أفكارها، وله مؤلفات أعلن فيها مناصرته لليهود والصهاينة. توفي عام ١٩٨٠م.

انظر: الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة: د. عبد الفتاح الديدي ص ١٦٦، و The Columbia Encyclopedia 6th Edition: 43229.

(٨) الوجود والعدم: جان بول سارتر ص ٧٢٢.

والأخلاق مصدرها الذات وليس العقل المطلق، ولا الإله^(١)، فلا «سلطة» للإله في الفلسفة الوجودية، وكل قيمة يفرضها على البشر مردودة^(٢) - بل يرون أن الخضوع إلى قانون يفرض نفسه بنفسه، أو الخضوع إلى طاعة الله عمل غير أخلاقي^(٣)!

لقد تحدثت الوجودية كثيراً عن الأخلاق والقيم، وإن كان بعض الباحثين يرى أنه لا يصح للفلسفة الوجودية أن تبحث في الأخلاق أصلاً؛ لأنها تتنافى مع أصولها الانحلالية^(٤).

ولذلك فالقيم - إن وجدت في الوجودية - ذاتية نسبية متعددة^(٥)، ولا يوجد أي مبرر عقلي أو منطقي لاعتقادات الإنسان الدينية، والتزاماته الأخلاقية^(٦)، بل يستلهم سلوكه من الغرائز^(٧) ويختار حقيقته الخاصة به^(٨) ويخلق ماهيته بنفسه^(٩).

يقول بول سارتر:

«إذا كان [الإله]^(١٠) غير موجود فإن وجود القيم والشرائع التي تبرر تصرفاتنا تسقط بالتبعية، وتصير غير موجودة، ويجد الإنسان نفسه وحيداً لا عذر له ولا ما يبرر سلوكه. وهذا هو ما أعبر عنه بقولي: إن الإنسان محكوم عليه بالحرية؛ محكوم لأنه لا لم يخلق ذاته، وحر لأنه قد صار مسؤولاً عن كل ما يفعل بمجرد أن تواجد في العالم»^(١١).

(١) انظر: معنى الوجودية: مجموعة باحثين ص ٤٤.

(٢) انظر: الوجودية: د. محمد الفيومي ص ٢٤.

(٣) انظر: معنى الوجودية: مجموعة باحثين ص ٤٥.

(٤) انظر: هل يمكن قيام أخلاق وجودية: د. عبد الرحمن بدوي ص ٢٢٦.

(٥) انظر: نظرية القيمة في الفكر المعاصر: د. صلاح قنصوة ص ١٦٢، القيم في الإسلام: صلاح الدين بسيوني ص ٦٩.

(٦) انظر: معنى الوجودية: مجموعة باحثين ص ٤٣، و The New Age Movement-Paul Heelas: 67.

(٧) انظر: الوجودية مذهب إنساني: سارتر ص ٣٠.

(٨) انظر: مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة: د. محمد مهران ص ١٠٠.

(٩) انظر: الوجودية مذهب إنساني: سارتر ص ١٤، ومدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة: د. محمد مهران ص ١٠٣.

(١٠) في الأصل المترجم: «إذ كان الله..»، والترجمة بالإله أصوب لأن «الله» اسم علم على ذات الرب المتصف بصفات الكمال، والمراد عند سارتر جنس الإله المعبود لا الله المنفرد بالجلال.

(١١) الوجودية مذهب إنساني: سارتر ص ٢٥، ٢٦.

وبهذا يتضح توجه الوجودية الإلحادي، رغم انقسامها إلى «مؤمنة»^(١) وملحدة، إلا أن الإلحاد هو الأغلب ويمثله سارتر نفسه^(٢) الذي أعلن عن «موت الإله»، وهذا يعني سقوط أي سلطة خارجية تفرض على الإنسان قيمه، وتحدد له سبيل الهداية، لتتحول هذه الوظيفة إلى الإنسان فيكون هو الخالق لقيمه^(٣)، وهي عقيدة بارزة عند حركة «العصر الجديد».

المسألة الرابعة: الحداثة وما بعد الحداثة (Modernism & Post-Modernism)

تمثل الحداثة وما بعد الحداثة ظاهرة مميزة للثقافة الغربية في القرن العشرين^(٤)، وفي معنى الحداثة ومفهومها كثير من الاضطراب والغموض^(٥). فالحداثة ترجمة حرفية لمصطلحين: (Modernity) و (Modernism)، واختلف في التفريق بينهما^(٦)، فالأولى تعني الحداثة التي هي بمعنى الجدّة، والاتصاف بصفات، أو وسائل ذات تعلق بالعصر الحديث^(٧)، أما الحداثة المترجمة من كلمة (Modernism) فيراد بها المذهب الفكري المخصوص، وهو المقصود في هذا السياق. فمن تقبل «الحداثة» وناجح عنها من أبناء العرب لا يخرج عن أحد احتمالين: أن يكون فهمها بالمعنى الأول، فيكون اللبس في المصطلح، أو يكون اطلع على حقيقة الحداثة الفلسفية وتقبلها كما هي^(٨).

وعلى أية حال، فإن للحداثة - على ما في تعريفها من اضطراب - خصائص تكاد تكون محل إجماع، ألا وهي: الثورة المستمرة، معارضة التراث، ومحاربة

(١) المقصود أن ينتسب إلى المسيحية.

(٢) انظر: الوجودية مذهب إنساني: سارتر ص ١١، ١٣، معنى الوجودية: مجموعة باحثين ص ٣١، والاتجاهات المعاصرة في الفلسفة: د. عبد الفتاح الديدي ص ٢٠٤، والوجودية: د. محمد الفيومي ص ٥٣.

(٣) انظر: نظرية القيمة في الفكر المعاصر: د. صلاح قنصوة ص ١٧٢، ومدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة د. محمد مهران ص ١٢٥، والقيم في الإسلام: صلاح الدين بسيوني ص ١٠٤.

(٤) انظر: الحداثة وما بعد الحداثة: بيتر بروكو ص ٩.

(٥) انظر: تقويم نظرية الحداثة: د. عدنان النحوي ص ٢٠، ٢٨، وندوة الحداثة وما بعد الحداثة: د. عبد الوهاب المسيري ص ١٠.

(٦) انظر: تقويم نظرية الحداثة: د. عدنان النحوي ص ٢٦ - ٢٨، وندوة الحداثة وما بعد الحداثة: د. السيد ياسين ص ١٣.

(٧) Merriam Webster Online Dictionary-Modernity.

(٨) انظر: تقويم نظرية الحداثة: د. عدنان النحوي ص ١٨.

الدين والإيمان، والفردية العقلانية الوضعية^(١). فهي تعتمد على الوضعية التي تشترط التخلص من القيم كأساس للبحث العلمي^(٢). أما السلوك فتقوده الأهواء والشهوات والغرائز^(٣).

إن القيمة المطلقة - أيًا كانت - مرفوضة في الحداثة إذ الحداثة في حد ذاتها نسبية، فلا يُستغرب كون الفضائل والحقائق عندهم نسبية، وأن الحياة الطيبة لها صور متعددة^(٤).

فمن أين تعرف الفضيلة إذن؟ كل فرد يحدد فضائله بنفسه، ولذلك يردد الحداثيون شعار: «لا سلطان على العقل إلا للعقل»^(٥). وليس المقصود عندهم العقل الأرسطي المطلق، وإنما العقل البشري النسبي. فالإنسان هو الذي يخلع القيمة على الأشياء، ويضفي عليها المعنى^(٦)، وهو معنى بارز في فكر حركة «العصر الجديد»، كما تهدف كلتا الحركتين إلى تحرير الإنسان من العادات والقيود المملاة من سلطات غير معتبرة عندهم، وفي كليهما نجد نظرة تفاؤلية مضخمة لمدى إمكانية ازدهار النفس البشرية حال تحقق ذاك التحرر^(٧).

ما بعد الحداثة:

«ما بعد الحداثة» مفهوم ظهر في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين^(٨)، وقد اعتُبرت من نتائج فشل الحداثة^(٩)، فهي نقد للحداثة الغربية

(١) الوضعية: مذهب فلسفي يرى أن الإنسان لا يدرك سوى الظواهر الواقعة والمحسوسة، وما بينها من علاقات، أو قوانين. وهي تناهض كل ما وراء الحس بدعوى أنه لا يمكن اختيارها، وإثبات صدقها علمياً.

انظر: المعجم الفلسفي: جميل صليبا ٥٧٨/٢.

(٢) انظر: تقويم نظرية الحداثة: د. عدنان النحوي ص ٤١، وندوة الحداثة وما بعد الحداثة: د. السيد ياسين ص ١٦.

(٣) انظر: تقويم نظرية الحداثة: د. عدنان النحوي ص ١١٦.

(٤) انظر: أوهام ما بعد الحداثة: تيري إيجلتون ص ١٣٢ - ١٣٣.

(٥) انظر: ندوة الحداثة وما بعد الحداثة: محمد عمارة ص ٢٥.

(٦) انظر: القيم في الإسلام: صلاح الدين بسيوني ص ١٠٤.

(٧)

(٨) انظر: القول الفلسفي للحداثة: هابرماس ص ٥.

(٩) انظر: أوهام ما بعد الحداثة: تيري إيجلتون ص ٤٢.

وما جرت به على البشر من ويلات، وهي ثورة على كل الأنساق الفلسفية «المغلقة»^(١) وتدعو إلى قيام أنساق فكرية مفتوحة تتلاقى فيها الأفكار. كما تقوم على إلغاء التاريخ وعدم اعتباره قوة محركة^(٢).

لقد ألغت الحداثة كل موروث ثقافي وقيمي في المجتمع الغربي وتركت مكانه فارغاً، مما أوجد هوة فوضوية تاه فيها أتباع هذا الفكر المنحرف، فجاءت ما بعد الحداثة لا لتعيد الناس إلى الموروثات الثقافية، أو تضبطهم بشيء من الأخلاق والقيم، وإنما لتحاول ملء الفراغ الذي يتركه الانسلاخ من كل ثابت ببدائل ملفقة، لا علاقة لها بموروث، أو دين.

وهي - مع ذلك - توافق الحداثة في نسبة الحقائق والأخلاق^(٣) وعدم اعتبار الواقع في تحديد القيم^(٤) «لأن الواقع - عندهم - لا اتجاه له، ولأنه لا ثبات في الكون، ولأن الحقائق منفصلة عن القيمة.. لا يمكن قيام أية معيارية، ولا يمكن تأسيس نظم أخلاقية عامة»^(٥).

وقد اعتُبرت حركة «العصر الجديد» جزءاً من ثقافة ما بعد الحداثة وأنها الجانب الروحاني منها، ذلك أن كلاهما يستشرف عصر جديد، ويرفض الحقائق التقليدية، وهما منغمسان في العولمة، وربما يكون كل منهما ردة فعل لأزمة الحداثة^(٦).

وعلى أية حال، قد لا يتمكن الباحث من التوصل لإجابة شافية حول صحة نسبة حركة «العصر الجديد» إلى ما بعد الحداثة ولكن حسبنا ما سبقت الإشارة إليه حول أوجه الشبه بينهما.

(١) المقصود بالأنساق المغلقة ما لم تتصف بالانتقائية والتلفيقية أيّاً كان توجهها.

(٢) انظر: ندوة الحداثة وما بعد الحداثة: د. السيد ياسين ص ١٨، والحداثة وما بعد الحداثة: بيتر بروكوا ص ٥، والقول الفلسفي للحداثة: هابرماس ص ١١، وأوهام ما بعد الحداثة: تيري إيجلتون ص ٤٢ - ٥٧.

(٣) انظر: ندوة الحداثة وما بعد الحداثة: د. السيد ياسين ص ١٨، وأوهام ما بعد الحداثة: تيري إيجلتون ص ٥٤، ١٤٩.

(٤) انظر: أوهام ما بعد الحداثة: تيري إيجلتون ص ٥٥.

(٥) الحداثة وما بعد الحداثة: عبد الوهاب المسيري ص ٩٤.

(٦) New Age A Guide-Daren Kemp: 63.